5
أغسطس
مجموعة قصص
وجه على الجدار
وجه على الجدار
مجموعة قصص
فاطمة الزهراء بدوي
فاطمة الزهراء بدوى
أدباء

حقوق النشر محفوظة للكاتب ودار نشر أدباء 2000

مجموعة قصص / وجه على الجدار

تأليف / فاطمة الزهراء بدوي

تصحيح / مدحت رأفت

تصميم الغلاف / محمد علي

الموقع الخاص بالدار

http://entashaaer.wix.com/odabaa2000

المدونة الخاصة بالدار ومجلة أدباء 2000على البلوجر

http://odabaa2000.blogspot.com.eg

الصفحة الخاصة بالدار على الفيس بوك

https://www.facebook.com/Odabaa2000/

الجروب الخاص بالدار على الفيس بوك

https://www.facebook.com/groups/1686790618200616/

التواصل مع الكاتب

https://m.facebook.com/fatmaelzhraa.badawy?tsid=0.32258172230140225&source=typeahead&__mref=message_bubble

شاشة زرقاء

الشاشة الزرقاء ...

في غرفة مظلمة- إلا من ضوء خافت صادر عن هاتفها - استلقت على الفراش و تابعت المرور بإصبعها على الشاشة الزرقاء تتصفحها ، في الواقع ، هي لم تكن ترى فعليا ما تقع عليه عيناها ، و رغم ذلك كانت تستمر في ضغط زر إعادة التحميل ، و كأنما سُيحدث فارقا أن يجد جديد ،قاتل هو شعور الوحدة ، شعور الملل و الزهد في آن واحد ، عدم الرغبة في الحراك ، في الأكل أو الشراب ، حتى الأنفاس باتت تبدو عبئاً تتمنى الإنتهاء منه ،على حين غرة ، جذب انتباهها عنوان تلك المجموعة ،" اقتله قبل أن يقتلك "

اسم غريب مُبهم ،" مَن ذاك الذي أقتله أو يقتلني ؟! "

تساؤل دار في ذهنها ، دفعها دفعا لضغط زر طلب الإنضمام ،يظل الفضول كطفل مشاغب راغب في دسِ أنفه في كل كبيرة وصغيرة ،ليقتطف من كل بستان معرفة زهرة ،لم تكد ترفع إصبعها عن الزر حتى أتاها إشعار قبول الإنضمام ،في العادة هي شخص مُتّطوِ ، لا يشارك في المجموعات المنتشرة على تلك الشاشة الزرقاء ،ولكنها تلقي نظرة بكل الأحوال على المنشور التعريفي و القوانين .....

1- كُلٍ قابل للقتل عليك فقط أن تكتشف ثغرته ، نقطة ضعفه ، و تستغلها ...

2- أقتله قبل أن يقتلك ... الهاء عائدة على كل ما تعتبره عدواً لك ...

3- نحن هنا لمساعدتكم على أن تمتلكوا الجرأة الكافية لقتل أعدائكم (بدون مسئولية جنائية قطعا)

4- للقتل أشكال عدة ولا تتطلب بالضرورة استخدام أسلحة أو ما شابه ..

5- فشلك نابع منك ، فلا تُحَمِلنا مسئوليته ، ولا تَلُم علينا إن قتلك عدوك قبل أن تتمكن من قتله

يبدو أنهم يتقمصون الحالة التي يوحي بهآ الاسم تماما ، لم تستطع أن تستوعب مقصود تلك النقاط الخمس ، لكنها أقنعت نفسها أنها ربما ستفهم المزيد من خلال المنشورات ...

مرت بضعة شهور الآن ، و هي لا تزال جالسة في فراشها ، لا يضئ الغرفة سوى شاشة هاتفها ،تلك الشاشة الزرقاء التي تبتلعها أكثر فأكثر يوماً بعد يوم ، لم تكن تبالي ،أو حتى تعي أنه يتم سحبها في تلك الهوة .

يوما جائتها رسالة تحمل اسم حساب المجموعة (حددي عدوك ، وقومي بقتله ، وإلا فإنه سيفعلها أولاً)

ارتسمت على شفتاها ابتسامة باهتة وغمغت لنفسها قائلة :

- لقد لاحظ وجودي أحدهم ، يا لها من طريقة مبتكرة لدفعي للتفاعل

تجاهلت الرسالة لعدة أيام ، نسيتها أو تناستها تماما ، حتى وصلتها رسالة أخرى ،(تيك توك ، عقارب الساعة تسير بسرعة ، و قريبا قد تلدغك)

عقدت حاجبيها في توتر :

- ما هذا العبث ؟! ،لم يعد الأمر لطيفا ،لا أحب أن يلحظني أحد ويجبرني على التفاعل ،أفضل البقاء كزهرة حائط

أخذت تحرك إصبعها على الشاشة وصولا لزر الخروج من المجموعة ،وقبل أن تضغطه ظهرت لها رسالة أخرى

(الهروب ليس حلا ،واجهي مشاكلك لأنها ستظل تلاحقك ،وعاجلا أو آجلا ، ستلتف حول عنقك إن لم تتخلصي منها و تقتليها أولا)

نبضات قلبها تتسارع وتقول في نفسها :

- هل يراقبونني ؟! ،هل زرعوا برنامج تجسس من نوع ما في هاتفي ؟!، عليّ أن أخرج حالا ، و من ثم فحص جهازي "

أخذت تضغط زر الخروج عدة مرات متتالية ، تشعر بالهلع ، الهاتف لا يستجيب ، أعادت التشغيل

- حمدالله ، لست بداخل المجموعة بعد الآن

لم تكد تنهِ جملتها حتى أتاها إشعار ،(تم قبول طلب إنضمامك لمجموعة أقتله قبل أن يقتلك)

شهقت في فزع و هي تتمتم :

- تبا ، تبا لم أطلب الإنضمام !!

(ليس الخروج بسهولة الدخول ، لتخرجي لا بد من القتل ، فإما أنتِ .. أو عدوك)

صاحت :

- لست أعلم لي عدوا
- " أكتشفيه "

أخذت تدور حول نفسها في الغرفة و هي تردد :

- لا أعداء لي ، صدقا أنا مسالمة ، لا أعداء لي ، وحتى إن وجد ،كيف ليّ أن أقتل ؟!
- (لا يجب أن يكون عدوك شخصا آخر)

أوقفتها هذه الرسالة عن الدوران ، ترى ما المقصود ؟، هل العدو شيء معنوي مثلا ؟

- (ربما)

ازداد فزعها ،هي لم تنطق الكلمات ، بل أن الفكرة دارت في ذهنها فحسب ، لا برنامج تجسس قوي كفاية لاختراق أفكار العقل ،كيف أجابوا تساؤلها ؟!

- (ركزي انتباهك على اكتشاف عدوك في الوقت الحالي)

الوقت ... هذه هي الأجابة ، الكثير من الوقت الضائع ،الوقت الفارغ من الصحبة ، الملل ،الوحدة

- هذا هو عدوي ، كيف إذا أقتله ؟!
- (من السبب ؟)
- السبب في ماذا ؟

- (كل ما ذكرته)

كانت تقف الآن أمام المرآة ، بالكاد تتبين ملامحها على ضوء شاشة الهاتف ..

- (هاقد حصلتِ على إجابتك ، ها قد عرفتِ عدوك)

صباح اليوم التالي وللمرة الأولى من عدة شهور ولت ،كانت هي قد غادرت غرفتها ، لكن عبر نافذة الطابق الخامس عشر ،والغريب أن شاشة هاتفها ظلت مضيئة تعكس صورة الشاشة الزرقاء .

تمت

الخيط الرفيع

"(لطالما كان الغرور هو خطيئتيّ المفضلة)

تلك العبارة ظلت عالقة بذهني منذ أول مرة سمعتها في ختام ذاك الفيلم (the devil's advocate) ، وقتها لمعت العبارة في عقلي ، أعجبت بها كثيرا ، و ظننت أنني استوعبت المغزى من الفيلم كنت طفلا على أعتاب المراهقة حينها ،أتفاخر - بيني و بين نفسي - بأنني ذو الخلق القويم نسبةً إلى أقراني ،أراهم - إلا من رحم ربي - ينساقون خلف الأهواء و الرغبة في تجربة خبرات جديدة في الحياة ،مرت تلك الفترة العمرية عليّ بسلام ، لم أنجرف لما انجرفوا إليه ، وأكتشفت في نفسي موهبة فطرية في الكتابة ،انضممت لكثير من المجموعات الأدبية ، في الواقع لم يُلفت انتباهي فيهم إلا قلة قليلة تُعد على أصابع اليد الواحدة ، بعضهم بوادر موهبة ناشئة قد يتأتى منها عمل قابل للنشر الورقي إن صُقلت جيدا ،وإن تقبلوا النقد بصدر رحب

البعض الآخر ، حسنا لا أحب أن أعيب في أحدهم ، لكنني هنا أصفهم وحسب ، لا يملكون سوى وهم موهبة ، بالكاد تستطيع أن تقرأ لهم جملة متناسقة مع بعضها البعض ...

(ريان عادل) على سبيل المثال ، أستطيع القول أنه خامة جيدة ، تحتاج للكثير و الكثير لتصبح حُلية مقبول النظر إليها ، لكنه و فيما لمست من تعليقاته و ردوده على الآخرين شخصية متعجرفة ، لا يرى سواه على صواب ، تقبله للنقد البناء يكون على غرار

(عقولكم الغضة لم تصل بعد لاستيعاب ما تنتجه قريحتي ، لم تتوصلوا لما هو بين السطور)

أحيانا ، أشعر و أن الشيطان قد تملكه ،لمَ لا وهو يتميز بخطيئته المفضلة ،من الجيد أنني لست هو ،مؤكد أنه شخص لا يُطاق ممن حوله ، وحيد ، فلا أحد يمكن له احتمال عجرفته تلك ...

(حين وصلت إلى منعطف طريق الحياة ، وجدت نفسي في وسط غابة قاتمة ، لقد أضعت الطريق السوي و لست أدري كيف وصلت إلى هنا ، لقد كنت مثقلا بالسهاد ، حين فجأة تهت و ضللت طريقي)

كان ذلك منشور ل (نرجس) واحدة من أعضاء تلك المجموعة التي تضمني و" ريان "، هي شخصية تسعى للظهور وجذب الإهتمام دوما ، تفتعل غضبا وهميا ليسترضيها الجميع ،نادرا ما أرى لها منشورا من بنات أفكارها ،أغلبها اقتباسات و إن لم تصرح هي بذلك ، كذاك المنشور ، كنت أعلم أنه من مقدمة الكوميديا الإلهية لدانتي ،لكنني آثرت الصمت ،لا يستحق مثلها في نظري أن أثبت لها ما أعرفه ،أنا أفضل منها ويكفيني إدراكي لهذا ،أنا (ناير كامل) و كفى ...

تلك الليلة راودني حلم عجيب ، رأيتني أمرُ خلال فتحة في سطح الأرض إلى ما استقر في وجداني أنه أبواب الجحيم ،نُقشت عليها

(من خلالي يدخل الانسان المدينة المحزنة ،ومن خلالي يدخل الآلام السرمدية ، ومن خلالي يدخل بين الأجناس الضالة ،صنعتني القوة الإلهية ،ولم يُخلق قبلي سوى الأشياء الأزلية ،وأنا باقية أبد الدهر ، فتخلوا عن كل آمالكم يا من تدخلون هذه الدار)

علمت حينها أنني أجل جحيم دانتي ،على حين غرة انتقلت للدائرة التاسعة ، حيث قاع فتحة الجحيم لأجد هناك أحدهم - لم أتبين في البداية من يكون حيث كانت الرأس مقسمة لثلاثة وجوه - مدفون في الجليد حتى خصره ،يرفرف بجناحان ضخمان مثبتان في كتفيه ، يذرف - من وجوهه الثلاثة - دموعا من الدم المتجمد ...

كان يفترض حسب ما قرأت أن يكون ذلك هو لوسيفر ، لكن ..."

- لكن ماذا يا ناير ؟ أكمل رجاءً"
- استطعت تمييز وجهين من الثلاثة ، (ريان) و (نرجس) ، علمت حينها أنني كنت على حق في نظرتي إليهما ، أن عليّ تخليص البشرية منهما ، لقد رأيتهما بدلا من الشيطان ، خطيئتهم جميعا واحدة "
- ولمَ عليك أنت أن تكون المُخَلِص ؟ ما الذي يميزك عنهم ؟"

- أنا (ناير كامل) ربما هي مصادفة أن يكون اسم أبي (كامل) لكنها صفتي كذلك ، لابد وأن أكون أنا ،علي معاقبة الخاطئين ، وتحريرهم "
- إذن هل أفهم من ذلك أنك قتلتهما ؟"

تراجع بحدة إلى الخلف و هو يشيح بوجهه قائلا :

- لست بقاتل ، هم من فعلوها بأنفسهم

نهض محدثه متوجها خارج الغرفة و هو يقول

- لنا حديث آخر ، عن شقيقك ، الذي قُتِل

التقرير المبدأي ...

المدعو ريان عادل يعاني من متلازمة تعدد الشخصيات ، على مدى خمسة أيام أظهر حتى الآن ثلاث شخصيات ، الشخصية المسيطرة تدعو نفسها ناير ،لديه نزعة بالتخلص من بقية الشخصيات ، يُشكل خطرا على نفسه وعلى الآخرين ، تسبب لنفسه بجروح قطعية في المعصم ، وادعى - بشخصيته الحقيقية - أن الغرور ممثلا في أسد ضخم قد هاجمه وأنه من تسبب له بهذه الجروح ،متأثر بالكوميديا الإلهية لدانتي بشكل كبير ، و ....)

قاطعه صراخ آت من عنابر المرضى فترك ما يكتب واندفع خارجا ليقابله أحد طاقم التمريض هاتفا :

- المريض الجديد ، المُحول إلينا من النيابة ، هاجم أحد التمريض لأنه كان يملي عليه التعليمات ، لسنا ندري من أين حصل على تلك السكين ، كان يصرخ و هو يهاجمه ليطعنه " ألا تدري من انا ؟! لا أحد يُملِ عليّ ما أفعل "
- ياللهول !

- لقد جرحه جرح سطحي ،لكنه ما إن رأى الدماء حتى اضطرب وزاغت نظراته ، و من ثم ...
- من ثم ماذا ؟! تحدث "
- باغتنا و ... جذب الخزائن الحديدية في الممر ، لتنهار فوقه و تشج رأسه ، لست أدري كيف واتته القوة

تمت

التحدي

لا يُذكر أن أحدا يوما رآه بدون نظاراته الشمسية السوداء ، لطالما ارتداها في كل مكان ، حتى في الأماكن الظليلة ، حتى أن أغلبهم ظنّ أنه ربما ضرير ،لذا يخفي عيناه خلف السواد ،لكن الواقع أنه كان يخفي اتجاه النظرات ، عيناه دوما كانتا تلاحقان الفتيات الغاديات ، يتفحصهن من أسفلهن لأعلاهن إنشا إنشا ،يرسم في عقله الآف الخطط لكيفية الإيقاع بكل واحدة منهن على حدة ، خطط طويلة المدى يرى فيها بعين الخيال المرحلة الأخيرة حين يتخلى عن واحدتهن بعد ليلة وحيدة يقضيها في فراشها ،يغادر بعد التقاط تذكار لفوزه- صورة لذبيحة خداعه- ليتباهى على منضدة الحانة حيث يقضي عطلته ،جميعهن كن نزوات ، إشباع لغريزة حيوانية بحتة ، لا تحمل بين طياتها السكن والمودة والرحمة ،إلى أن رآها ،أسرته منذ اللحظة الأولى ، استحوذت على مخيلته في صحوه ونومه ،في البداية كانت له كأي أنثى ،لكن بمرور الوقت ، و حين لم يستطع النفاذ إليها أو سبر أغوارها ،أعجبته ،اعتبرها تحديا لابد وأن يكسبه ، أراد امتلاكها ،أصبح ينتظر اليوم الأول من كل شهر بفارغ الصبر ليراها تدلف مكتبه ، كانت تأتي لتقبض راتبها فهو المسئول المالي في الشركة التي تعمل بها ،حاول كثيرا استمالتها و خطب ودها ، لكنها لطالما صدته بتهذيب ،وجد أن الطريق الوحيد للقرب هو باب الإرتباط الرسمي ، وحتى بعد أن تمت خطبتهما لم ينل ما منى به نفسه ،حتى النظرة كانت بحساب ، يسترقها من خلف زجاج النظارة السوداء ، فتنظر إليه مباشرة في عينيه وكأنها ترى خلال العدسات المعتمة ، فيشيح ببصره ،كانت مشاعره متضاربة بين استياء من اضطراره للإنتظار حتى إتمام الزواج ، و حماسة للحظة التي يسقط فيها جدار تمنعها .

تم الزفاف في حفل بهيج ،عادا بعده لمنزله ،أصرت عليه أن يُصلي بها ركعتين ،لم يستطع الرفض خاصة مع الصورة التي كان قد رسمها لنفسه أمامها لتقبل به زوجا ،وبينه وبين نفسه كان يحاول جاهدا تذكر كيفية الصلاة ..

حضرت هي بعدها وجبة خفيفة و كوبان من العصير الطازج ...

- لماذا لا تأكلين ؟

ابتسمت في خجل و قالت

- معدتي مضطربة بعض الشيء

بادلها الابتسام و قد فهم ما ترمي إليه ...

نهض من الفراش ، أشعل سيجارة وأخذ ينفث دخانها بتوتر وعصبية ،فاقتربت منه وربتت على كتفه قائلة :

- لا بأس ،ربما هو اجهاد ، اليوم كان طويلا

لم يجب سوى بإيماءة بغير معنى ،وتركها و ذهب ليدخن المزيد في الشرفة ...

مرت بضع شهور على الزفاف ، كاد يجن

"ما الذي أصابني ؟!! ، أين المشكلة ؟"

يخرج الصور من محفظته بين كل حين وحين ، يتأملهن ، ثم يضرب كفا بكفا

"هذا أول تحدٍ أخسره "

ثم ينفعل واقفا مشعلا سيجارته ، مغمغما لنفسه

" لا ، لم أخسر بعد ،لا يمكن أن أخسر هذا ملعبي"

في إحدى الزيارات العائلية ، سألت إحداهن قائلة :

- ألا تبشراننا ؟ أما من ضيف قادم قريبا ؟

نظرت هي إليه بطرف عينيها وارتسمت شبه ابتسامة ساخرة مريرة على جانب ثغرها وهي تجيب :

- ما من شيء ، لا قريب ، ولا يبدو أنه سيكون في البعيد

ثار غضبه ، وانتفخت أوداجه احمرارا ، و نهض في عصبية راغبا في الرحيل ،وفي السيارة أطلق العنان لغضبه لائما إياها على ما قالت ..

- عزيزي لقد مضى ما يزيد عن سبعة أشهر ، ألا ترى أنك من الأفضل أن تعرض نفسك على طبيب ؟

صرخ فيها و قد ازداد غضبه :

- لست بحاجة لأي طبيب

رمقته بنظرة ساخرة من أسفله لأعلاه ، هزت كتفيها ،ومن ثم أشاحت ببصرها نحو الطريق

" سأستعيد مجدي الماضي ، ربما هي المشكلة ، لست أنا ،الليلة سأجرب حظي مع أخرى ، لازلت ساحرا ،رمى بعقب سيجارته ،دهسه بكعب حذائه ،وألقى نظرة خاطفة على الصور بمحفظته قبل أن ينتزع خاتم الزواج من يده و يتقدم متوددا للحسناء الجالسة على طرف منضدة البار ...

- أنا المخطئة لموافقتي على أن تصطحبني لمنزلك ، انخدعت بمظهرك الشاب الواثق

كان يحاول استبقائها بينما تلملم معطفها على قميص نوم قصير وتبحث عن بقية ملابسها ،ليجد في مواجهتها زوجته التي أشارت لتلك التي اضطربت وهرعت خارجة نزولا على السلم ...

- من تلك ؟!

تلعثم قليلا و هو يقول :

- لم يكن يُفترض بكِ العودة من المؤتمر قبل يومين على الأقل ، قلت أنكِ لن تعودي قبل الاثنين المقبل

كان معها حارس العقار الذي يحمل جزءا من حقائبها و شقيقها و ابن عمها الذي قال أحدهما :

- لقد سألتك أختي من تلك ؟

كان يحاول أن ينطق لكنها قاطعته قائلة :

- أتعلم ؟ لقد اكتفيت منك ، سأنتظر إعلام طلاقي في منزل والدي ، و إن لم تفعل ،حسنا أظنك تعلم من سينال ورقة على يد محضر

في المحكمة ، و بعد صدور الحكم بالطلاق ، انحنت على أذنه و هي تغادر هامسة :

- خسرت التحدي هذه المرة يا عزيزي ، كنت غبيا لتحتفظ بصور خطيئتك في محفظتك ، لمحتهم بينما كنت تخرج بطاقتك للمأذون لعقد القران قبل الزفاف ببضع أسابيع،رأيت صورة صديقة الطفولة (ريم) أتذكرها ؟ لقد انتحرت بسبب العار الذي لحق بها ، لا تخطئ فهمي أنا لا أعفيها من المسئولية ، لكن كان على أحدهم إيقافك

اتسعت عيناه في ذهول و هو يلتفت إليها متسائلا :

- ما الذي تعنينه ؟! ألكِ يدٌ فيما أصابني ؟!

اتسعت ابتسامة متشفية على ثغرها بينما تحرك يدها في الهواء و كأنما تحرك عروس ماريونت و قالت :

- منذ الليلة الأولى ، ألم تتسائل لمَ لم أتناول أبدا معك طعاما أو شرابا من إناء واحد ؟

أخذ يردد في انهيار :

- كيف ، كيف فعلتها ؟
- أنا أعمل في الأبحاث الدوائية يا عزيزي ، ليس هذا بالصعوبة التي تتخيلها، و لن تستطيع أن تثبت عليّ شيئا

تمت

اختيار الشيف

الطعام ، لطالما كان الرفيق الدائم ،الحل السحري لأي مشكلة ،والوسيلة المناسبة للإحتفال ،كل المناسبات ترتبط بشكل أو بآخر بالطعام ،زفاف ، وفاة ، نجاح ،فرح ، حزن ، كل ما يخطر على البال من مناسبات تجد فيها الطعام ضيفا أساسيا ،لذا بدا منطقيا أن أبدء مشروع مطعم سيكون ناجحا للغاية ،شرط أن تتميز بطريقة تجعل من يأتي مرة لابد وأن يعاود الكرة مرة تلو الأخرى ،حرصنا على جعل الديكورات فيها من الحميمية و الدفء ما يشعر ضيوفنا بالراحة و الرغبة في البقاء لأطول وقت ممكن ،عملت على ترويج تعبير الوصفة السرية ولم أكذب ،فقد كانت لديّ وصفة فعلا ،وصفة حصلت عليها وتوارثتها من أجدادي لأكمل مسيرتهم ، لم أسمح لمخلوق بالأطلاع عليها أو أن يستخدمها غيري ، كنت أحتفظ ببعضٍ منها في قارورة زجاجية صغيرة ،كانت عبارة عن سائل ذهبي اللون ، قطرة واحدة منه تكفي لإحداث التأثير المطلوب ، كنت أضع منه على جميع ما يرد في القائمة ،ازدهرت الأعمال بسرعة ،جميع ضيوف المطعم دوما ما كانوا يعودون لطلب المزيد مُحضرين معهم المزيد من الأصدقاء و المعارف كنت أمتع ناظري برؤية الناس تلتهم الاطباق في نهم ،مُطالبة بالمزيد و بتجربة أصناف القائمة جميعها ، هل تتخيلون تجربة شخص واحد لقائمة تنوعت بين جميع أصناف الطعام التي قد تخطر لكم على بال ؟ لحوم ، دواجن ، مأكولات بحرية ، معجنات ، حلويات ، حتى المشروبات بأنواعها تجدونها على القائمة ..

أولئك الذين كانوا يعيدون ملئ صحونهم أكثر من ثلاث مرات كنت أأمر بنقلهم للقاعة المميزة حيث يتلقون معاملة خاصة ...

كان الأمر أشبه بمسابقة ، من يفرط في تناول أكبر عدد من الصحون يفوز ،و يتلقى وجبة مجانية على حساب المطعم ،ولم تكن تلك أي وجبة ، بل اختيار الشيف ،وجبة اختيار الشيف لدينا تحتل المرتبة الأولى ،لذا فإن سعرها عالٍ بعض الشيء ، و مكوناتها تعتمد بشكل أساسي على لحوم مميزة أُشرِفُ بنفسي على ذبحها ، تقطيعها ، و تتبيلها بوصفة أسرتي الخاصة ،وبضع قطرات إضافية من

السائل الذهبي تضمن ليّ أن من يطلب لن يكتفي بمرة واحدة ،ولم يكن ليتناولها سوى فئة قليلة من علية القوم و محظوظي القاعة المميزة ..

تتكون من قطع لحم مشوي على مهل منقوع في تتبيلته لأيام ، حساء بالنخاع ، قطع من القلب و الكِلى بفصوص الثوم ، و قطع من المخ المقلي بطبقة مقرمشة من الخارج تتناغم مع الطراوة في الداخل ،والكثير الكثير من المقبلات ..

الليلة قمت بنقل أسرة كبيرة للقاعة المميزة ،أضفت لأطباقهم بضع قطرات إضافية من السائل الذهبي عملت على فتح شهيتهم لأضعاف تخطت درجة الشراهة ،لا تلوموا عليّ الآن ، لم أفعل شيئا سوى تحفيز ما هو موجود بالأصل ، لو لم تكن بهم شراهة منذ البداية لما نقلتهم إلى هنا ،لقد غذيت الرغبة وحسب ،هذا وضع الكل فيه فائز ،هم سيستمتعون بأفضل وجبة أخيرة في حياتهم ،وأنا سأحصل على مصدر جديد لأستمر في إعداد وجبة اختيار الشيف ...

تمت

انفصال

تلك اللحظة حين تشعر بالدماء تغلي في العروق ،تندفع كالحمم إلى رأسك ، يتنحى العقل والمنطق ،ويصبح المنبع الوحيد لتصرفاتك هو الغضب ،الغضب ولا شيء سواه ،حينها أعلم أنك ربما اجتزت خط اللاعودة ..

لم يكن يوما سهل المعشر ،دوما متجهم ،ابتسامته شيء نادر تكاد تكون خامس المستحيلات ،حاولت هي إصلاح حاله حينا ،والتأقلم مع طباعه أحيانا ،لكنها لم تعد تحتمل ،خاصة وأنه حين يقابل الأغراب أو أصدقائه يصبح بشوش الوجه ، لطيف المعاملة ،قررت الرحيل بصمت ،دونما مناقشات عديمة الجدوى لن ينالها منها سوى إحتراق الأعصاب و زيادة البغضاء ..

تركت له رسالة إلى جوار طعام الغداء الذي أعدته له قبل أن تغادر

(سأرحل هذه المرة بلا عودة ،حاولت كثيرا ،لكن كلما بدأت بناية جسر يصلني بقلبك هدمته ،أبدلته بسياج شائك ،سأكون في منزل والدي - رحمه الله - فلنفترق بالمعروف ،لا رغبة لديّ في لقياك مجددا ،يكفي ما كان)

عاد بعد موعد عمله بما يقارب الثلاث ساعات ،قبل أن يدس المفتاح في الباب توقف لينهي مكالمته الهاتفية مع صديقة له كما يُسميها ، كان يلقي ببعض النكات و يتبادلان الضحكات ، وأغلق الخط بعد اتفاق على اللقاء ...

دخل بعد أن رسم على وجهه ملامح التجهم التي ازدادت عندما لم يجدها في استقباله عند الباب كما عودها ،أخذ يصيح مناديا باسمها لكن لا مجيب ،عندها رأى أطباق الطعام ترتص على المائدة و إلى جوارها رسالتها ،التهم السطور بعيناه في سرعة ليمزق الورقة بعدها في انفعال

- تلك الوقحة تطلب الانفصال عني أنا ،ألا تحمد ربها أنني آويتها في منزلي ،لقد تزوجتها فقط إرضاءً لأبواي الراحلان ،لا أحد يتخلى عني أنا فقط من أترك الآخرين ،سأعيد لها عقلها

حين وصل منزل والدها كان الغضب قد وصل به مبلغه ،شعوره بالإهانة أنها هي من طلبت الانفصال و هي في نظره من تحمل نواقص الدنيا ، يكفي أنها حتى الآن لم تنجب له ابنا يحمل اسمه في الدنيا ،شياطين العالم السفلي كلها كانت تتقافز أمامه ،الدم يغلي في عروقه ،يندفع كحمم بركان ثائر إلى دماغه ،أوداجه منتفخة و لون وجهه ينافس في حمرته الفراولة الناضجة

أخذ يطرق الباب بعنف حتى أنها ظنت أنه يكاد يتحطم ،شعرت بالخوف ورغم ذلك فتحت له دفعها بمجرد دخوله ليرتطم ظهرها بالأرضية الرخامية بقسوة ،أخذت تزحف للخلف وهي تترجاه أن يهدأ ،وكأنما كلماتها ،بل مجرد صوتها يزيد من ثورته ،انقض عليها ممسكا إياها من تلابيبها ...

- أنتِ ،أنتِ تتركين ليّ المنزل و تطلبين الفراق ،من تظنين نفسك !

بصوت متحشرج قالت و هي تحاول دفعه بعيدا عنها :

- ابتعد عني ، و إلا...
- و إلا ماذا يا حثالة النساء ؟ ها ، و إلا ماذا ؟

حاولت النهوض فدفعها بعيدا للوراء لتسقط بجوار المنضدة الرخامية ، استندت عليها لتقف ، استشعرت سكينا تحت يدها فتناولته مُشهرة إياه أمامها و بصوت مبحوح خوفا و عينين دامعتين

قالت :

- و إلا تأذى أحدنا ، أرجوك إذهب ،لم أعد أطيق وجودنا معا تحت سقف واحد

انطلقت منه ضحكة ساخرة عالية ، من ثم قال :

- لا أحد سيتأذى هنا

و أعقب بغل و هو يهجم عليها

- سواكِ

استجمعت قواها لتطلق صرخة عالية ،فُتِحَت على إثرها أبواب الجيران ...

- لا بأس ، ستكونين على ما يرام ، لم يكن أمامك مفر

كانت تنتفض و دموعها تنساب ، تكاد لا تسمع حرفا مما تقوله جارتها التي عبثا حاولت أن تحتويها بين أحضانها ، تحملق في جسد زوجها المسجى أرضا و تلك السكين المغروسة حتى المقبض في صدره ،لا تدري حقا أكان ذلك دفاعا عن النفس ، أم أن غضبها الكامن من ظلمه لها قد قرر أخيرا التنفيس عن نفسه ،الأمر الوحيد الذي كانت متيقنة منه هو أن كلاهما كان غاضبا ولفترة طويلة قبل أن تقرر الانفصال ، كلاهما قرر عدم الاستماع للعقل ،وأن الوضع الحالي ما هو إلا تداعيات النهاية .

تمت

الليلة الأخيرة في الملجأ

لم تكن الحياة سهلة هنا على الإطلاق ،لا بالنسبة لي أو للأخريات ،جميعنا كان لديه حلم وحيد ،ننتظر يوم العرض ،نصبح كسلع في متجر أمام الأسر البديلة ،محظوظة هي من يقع عليها الإختيار ،وقطعا لم يقع عليّ يوما ، أما بقيتنا فيمسون ليلتهم متمنين أن لا يستيقظن بعد الغروب على يد واحدة من المشرفات ،أو كما نسميهن -بين بعضنا البعض- الجلادات ،لطالما سمعت صرخاتهن بعد حلول الظلام ،لا تتعجبوا الآن أستطيع إدراك متى تغرب الشمس رغم كوني - بمعاييركم – "عمياء" ...

أستطيع الشعور برائحة الخوف التي تبدأ في الانتشار ، تلك الهمهمات في الطرقات تعني أنهم آتون ،أعلم أنكم تظنونني أبالغ بعض الشيء ،ففي نظركم أنا مجرد طفلة ، يتيمة ، لقيطة ، أياً ما كانت تسميتكم لمن هم مثلي ،صحيح أنني لم أكمل عقدي الأول من العمر ،إلا أن ما سمعته ،و رأيته - في وقت ما - يجعل عمري يفوق ذلك أضعافا مضاعفة ...

يوما كنت أستطيع الرؤية ، أنا واثقة مما أقول ، لكن ولأن لا ظهر لأي منا في هذا المكان حسنا ليس عدم اهتمام كما تبادر لأذهانكم الساذجة لا ،لمَ لا تنزلون للقبو ربما استطعتم تبين الحقيقة بشكل أوضح ...

لا تشغلوا بالكم بتلك الصرخات ،ستعتادونها تماما كما اعتدناها نحن ، و عاجلا أم آجلا ستتعلمون أن تتجاهلونها ،الآن ترون حقيقة القبو ،هنا فقدت بصري ، هنا كانت التجارب تُجرى على سيئات الحظ منّا ،محاولات لصنع خوارق ، نظر أقوى ، قدرة تحمل أعلى ، معدل شفاء أسرع ،أبحاث عسكرية لصنع جندي فوق العادة ، نحن كنا حقل التجارب ،فلا أحد سيتسائل عما يحل بنا ،لست أدري هل لهذا فضلٌ في ما أصبحت عليه ،أم أنني مختلفة وحسب ،أياً ما كان الأمر ، لم أعد أحتمل فقدان المزيد من رفيقاتي ،لذا وفي تلك الليلة الهادئة ،بعد أن خلد الجميع للنوم ،قررت أن الوقت قد حان لأخلص الجميع من هذا الوضع المزري أشعلت النيران في أنحاء المكان ،احترق عن آخره ،نعم هذا سبب الصرخات التي كنتم تسمعونها هيا لا تكذبونيّ الآن ،صحيح أنني بمعاييركم "عمياء" ، لكن وكما أخبرتكم

،أنا مختلفة ،عالم الموتى يختلف تماما عن عالمكم و معاييركم ،أضيفوا إلى هذا ،هل كان باستطاعتي تسجيل هذا الشريط إلا إن كنت مميزة ؟

تمت

وجه على الجدار

5 أغسطس ...

منذ أن انتقلت لهذا المنزل ،وكلما استلقيت في فراشي تذكرت -بشكل ضبابي - تلك القصة باللغة الإنجيلزية التي كنت أدرسها في المرحلة الثانوية ، لست أذكر اسمها ، لكنني أذكر أنها كانت تتحدث عن وجه رجل يزداد وضوحا على الجدار ..

فعلى الجدار المقابل كنت أرى على ضوء القمر ،ملامحا لم أتبينها جيدا في الأسابيع الأولى ،لكن مؤخرا بدأت تتخذ ملامح فتاة ،حاولت إقناع نفسي أن ما أرى هو تفاعل بين الرطوبة و إنعكاس الظلال في مخيلتي الخصبة ...

تلك الليلة ، حلمت بالفتاة على الجدار ،الملامح باتت واضحة للغاية ،طفلة لم تتخطى العاشرة من العمر ،ربما أصغر ،وجهها خالٍ من أي انفعالات ،شعرت أن ملامحها جامدة ،تلك النظرة في عينيها أثارت في نفسي الرهبة ،تشعر أنها تحدق ولا تستطيع أن تتبين إذا ما كانت نظراتها موجهة إليك أو إلى شيء آخر يقبع خلفك ، استيقظت فزعا أتصبب عرقا - و لا أدري لذلك سببا منطقيا - تلوت المعوذات ونهضت أحضر كوبا من الماء ثم عدت لأجدها هناك ، على وسادتي تحدق تماما كما رأيتها بحلمي ، لأسقط الكوب من يدي فيتحطم لشظايا ..

لا أدري كيف نمت مجددا تلك الليلة ،ربما ساعدني تحطم الكوب ،صوت التحطم شتت بصري عن الوسادة للحظات ، عاد كل شيء بعدها لطبيعته ..

---

12 أغسطس ...

الوضع يزداد صعوبة ، صرت أكثر توترا عن ذي قبل ، تلك الفتاة أصبحت تزور أحلامي كلما غفلت عيناي ، أصبحت أخشى النوم ،بدا و كأن ملامحها ، نظراتها المحدقة قد حفرت في باطن أجفاني

،لست أدري حقا سببا منطقيا لخوفي من طفلة مجهولة ،لكن صدقوني لو أنكم مكاني لشعرتم أيضا بالفزع ...

---

17 أغسطس

لابد وأن أنتقل لمنزل آخر ،أصبح الأمر لا يُطاق ،أتتخيلون أنها باتت تظهر ليّ الآن في أرجاء المنزل؟!! ، ليلا و نهارا ،ما ... ما هذا ؟!! يا للهول ، يا للهول لقد تجسد الرأس خارج الجدران ،لا أستطيع الخروج ،لست أفهم كيف يمكن حدوث ذلك لقد اختفت الأبواب والنوافذ مهلا ... هل سمعتم ما تردده الفتاة ؟!

- تعال معي ، الجدار أأمن مما تظن ، سيقيك هجوم ذاك الواقف خلفك

---

30 نوفمبر

- رباه لقد صمّ الصراخ أذناي ، أين وجدتِ شريط الكاسيت هذا ؟!
- كان داخل جهاز التسجيل الصغير في الرف العلوي من خزانة الملابس في غرفتي
- هل أطلعتي أمي عليه ؟
- لا ،أتظن أنه يجدر بنا أن نسمعها إياه ؟
- اممم ،لا ،أظنه مجرد مزحة سخيفة ،هيا فلنخلد للنوم ،فغدا يوم دراسي

انطفئت الأنوار ،وعبر النافذة تسلل ضوء القمر ساقطا على الجدار حيث كان هناك ملامح باهتة لطفلة و رجل بالغ ...

تمت

مرة واحدة أخيرة

كان خلافا عابرا ، لكن شيئا ما في نفس كلا منهما حال دون الصفاء ، ربما هي تراكمات لم تُحل ، مرة تلو أخرى - و بحجة فلندعها تمر لنستمر - ران على القلب ، حاجز ما ظل يعلو و يعلو حتى صار من الصعب رؤية ما ورائه

هو رأى أن ردَة فعلها كانت مُبالغا فيها ، لم تكن كلمةً تلك التي قالها ممازحا جمعا من الأصدقاء ، حين عادا للمنزل هبت فيه صارخة أن أهنتني بسخريتك أمامهم ..

بدهشة حقيقية قال :

- تعلمين أنني أمزح ، ما بالك ؟! ليست تلك المرة الأولى !
- صدقت، ليست مرتك الأولى لذا ...
- لذا ماذا ؟!

تطلعت إليه صامتة لوهلة و من ثم قالت :

- لا شيء ، إنه خطأي ، سأذهب لأنام

بدلت ملابسها ،واندست في الفراش ،دفنت وجهها في الوسادة وانخرطت في بكاء مرير مكتوم أخذت تستعيد كل موقف بينهما ضايقها يوما ،واختبئت بعدها في الحمام أو تظاهرت بالنوم لتبكي دون أن يراها ،في مقابل كل مرة أفصحت فيها عن ضيقها عشرات المرات كتمت داخلها ،سخريته من عدم إجادتها للطهو ومدح أخريات من زوجات الأصدقاء ،مغازلة الفتيات و هي معه بينما ينتقد هيئتها ،تدخله في بعض الأوقات في علاقاتها مع صديقاتها ،و غيرها الكثير ،أحيانا كانت تشعر أنه في مكان ما داخله يرغب لو تزوج بأخرى تعوضه عن نقائصها التي يرى ، تمنت لو تنجب ،ربما غير ذلك من الوضع شيئا ،لكنها إرادة الرحمن ،شعرت به يدلف للغرفة فكفكفت دمعها ،وفي قرارة نفسها قررت أنها ولمرة واحدة أخيرة ستتحدث بصراحة، تبوح بكل ما يثير حفيظتها ،فقط مرة واحدة أخيرة بعدها

ستصمت عن العتاب ،ستؤدي المفروضات دون زيادة أو نقصان ،ستعزل مشاعرها عن الحياة، و ترسم ابتسامة رضا زائفة ..

- هل نمتِ ؟
- ليس بعد ...
- تصبحين على خير إذن
- انتظر قليلا ... أرغب بجلسة مصارحة
- الآن ؟!!
- إما الآن أو لا للأبد
- إن كنتِ ستلومينني على تفاهات فلست في مزاج رائق
- تفاهات ؟! ... حسنا ... لا بأس أخلد لنومك

في صباح اليوم التالي استيقظ ليجدها لا تزال نائمة إلى جواره - على غير العادة - محتضنة ركبتيها إلى صدرها لتبدو كجنين في رحم أمه ،ربت على كتفها برفق - مما كان في العادة كافٍ لإيقاظها - لكنها لم تستجب ،بدأ يهزها في البداية برفق و من ثم ازداد قوة ،شعور بالذعر بدأ يتملكه من عدم استجابتها له على الإطلاق ،قرب يده من أسفل أنفها متحققا من تنفسها ، لا هواء خارج أو داخل ، تحسس عنقها بحثا عن نبض ،لكن أيضا لا شيء ،الهلع أصبح الشعور المسيطر في تلك اللحظات، حملها دون حتى أن يغير منامته ، ارتدى أول خُفٍ قابله و هرع بها إلى أقرب مستشفى ..

- البقاء لله ، لقد توفيت ،تضخم مفاجئ في عضلة القلب ليتوقف بعدها ، إنها متلازمة تُعرف بالقلب المفطور

تمت

عربة القطار الأخيرة

شعرت أنها لم تعد تحتمل ،الجدران تطبق على أنفاسها ، تكاد تختنق ،أخذت ورقة نقدية من فئة الخمسين من حقيبتها ،وضعتها في محفظة صغيرة مع مفاتيح المنزل ،تركت هاتفها على المنضدة الصغيرة المجاورة للفراش ،لم ترغب أن تحادث أحدا ،أو أن يكون كل ما يتطلبه الوصول إليها هو ضغطة زر ،خرجت لا تقصد مكانا محددا ، فقط تسير وتسير في الشوارع ،تتأمل واجهات المحال ،وجوه المارة ،تلتقط أجزاء متفرقات من أحاديث هنا وهناك ، تسمع جزءً وتؤلف عليه أجزاء و حيوات في مخيلتها الواسعة ،أنهكها المسير ،لكن بعدها لا ترغب بالعودة لوحدتها ،صحيح أن كونها خارجا لا ينفي عنها الوحدة ،لكن صخب حياة الشارع يؤنسها ، يلهيها لوهلة عن الواقع ،توقفت أمام أحد محال العصير ، تناولت كوبا من القصب و آخر من الخروب ، ومن ثم أكملت سيرها ،بالقرب كانت محطة القطار النفقي ، بلا تخطيط حولت وجهتها إليها ، قطعت تذكرة و لم تنظر حتى إلى إتجاه الخط الذي توجهت نحوه ، حين وصلت للرصيف كان القطار يدخل المحطة ، أسرعت الخطى أرادت الركوب في العربة الأخيرة ، مؤخرا أمست العربة الأخيرة هي المفضلة لديها ،لمَ لا وكل ما في حياتها أصبح متعلقا بعربة القطار الأخيرة !

لحسن حظها كان واحدا من تلك القطارات التي دخلت الخط مؤخرا ، مكيفا ، لا يزال إلى حد ما نظيفا لم تمتد إليه يد العبث ، وجدت مكانا شاغرا في مؤخرة العربة فجلست

" العربة الأخيرة و في المقعد الأخير "

هكذا غمغمت لنفسها و شبح إبتسامة يرتسم على جانب فمها ،أسبلت عينيها في إسترخاء ، حررت قدمها قليلا من فردتي الحذاء ، و أسلمت خيالها للذكريات ...

تخرجت في كلية التجارة بتقدير مقبول ،دور ثانٍ ،ليس لأنها طالبة بليدة أو كسولة ،إنما هي الظروف ،في السنة الثانية من الكلية توفي والدها قبيل الإمتحانات مباشرة ،وكان لهذا تأثيره على نتائجها

،أصرت أمها وأشقائها الأكبر -حيث كانت هي آخر العنقود كما يقولون - على تزويجها لأول عابر يطرق الباب ، حاولت الرفض لكن لا أذن تسمع أو قلب يشعر ، رضخت أمام دموع أمها ورغبتها في الإطمئنان عليها قبل الرحيل ،كانت تخطت السابعة عشر من عمرها ببضعة أشهر حين تزوجت رجلا يكبرها بخمس و عشرين عاما ، متزوج ، لكنه أراد صبية يافعة لتنجب له البنين ، كان له من البنات خمس كبراهم تبلغ العشرين من العمر

أذاقوها الذل ألوانا ، حتى نالت الطلاق بعد أربع سنوات ، حملت خلالها ثلاث مرات ، و في كل مرة يكشف السونار عن أن جنس الجنين فتاة ، ينهال الزوج و بناته و حتى ضرتها عليها بالضرب ، لكمات و ركلات حتى تخر أرضا فاقدة الوعي تنزف لتفقد في كل مرة جنينها ...

في حملها الأخير ، كان توأم ، و لم يكن رأي السونار قاطعا ، لكن الطبيبة رجحت كونهما فتاتين ،إلا أنه عندما وضعتهما مبكرا في منتصف شهرها السادس ، كانا صبيين ، لكن ماتا فور الولادة ...

و أصرت هي على نيل الطلاق ، رغم رفض إخوتها ، و تحليفهم لها بروح أمها - التي توفت بعد زواجها بقليل - إلا أنها ظلت على رأيها ، و عادت لتعيش في منزل والديها ...

اليوم هي في السابعة و الثلاثين ، تحمل لقب مطلقة ، الجميع ينظر لها على أنه خطؤها ، يلومونها ، حتى إخوتها ،عزفت عن الزواج ، لم ترغب في تكرار التجربة التي لا يزال جسدها يحمل بعضا من آثارها ،وهذا أسهم في أن تصبح سيرتها هي تسلية مجالس الجيران و إفتراضاتهم السيئة

"لا أحد سيعيش حياتي بدلا مني "

تعلمت ألا تُلقِ بالاً لما يتناقله الآخرون عنها ، تثق أنها لم تعصَ ربها أو تقترف خطأً فمالها و مال الناس ، تعيش وحيدة ، و ستموت وحيدة ، لا أحد سيتحمل عنها جناح بعوضة ...

تأخر الوقت كثيرا ، لم تنتبه لذلك إلا عندما أدركت أن العربة شبه فارغة ، شعرت بنظرات الشابين في منتصف العربة تخترقها ، الشعيرات الصغيرة في مؤخرة عنقها تنتصب ، كان القطار يتوقف في محطته التالية ، تبعد عن محطة ركوبها واحدة

قررت النزول و أن تكمل طريق العودة سيرا ،هالها أن تلمح ظليهما يتبعانها ،أسرعت الخطى ،الساعة تقترب من منتصف الليل ، الشوارع شبه خالية ..

(تعيش وحيدة ، و ستموت وحيدة)

مساء اليوم التالي ، كان هاتفها يحمل مكالمة واحدة مفقودة ،بينما كانت هي في ثلاجة مشرحة بإنتظار من يتعرف عليها ،بلا هوية أو مقتنيات ، فقط آثار مقاومة و بضع طعنات كتبت لها كلمة النهاية ....

تمت

انعكاس

ثلاث شمعات حمراوات ، في ليلة مظلمة حالكة السواد ، لا قمر ولا نجوم ، أشعلهن و ثبتهن أمام مرآة ، و على ورقة أقطر ثلاث قطرات من دمك يبعدن عن بعضهن مسافة ست ميلليمترات ، مررها على الثلاث شعلات ، سيُكتب عندها على الورقة اسم عدوك ، لا تنظر ،ستتمزق الورقة فلا تلملمها، و سيرى هو عندئذ إنعكاسه في المرآة تماما كما أنت تراه ، لا بعينيك و إنما بمشاعرك ، و حينها لن يحتمل ولربما من كراهة ما رأى انكسر ...

****

أغلقت الكتاب العتيق ذو الأوراق المصفرة ونتوت التجربة ،لن يكلفها الأمر شيئا سوى ثلاث شمعات و ثلاث قطرات من الدماء ،انتظرت بضع ليالٍ حتى غاب القمر من كبد السماء أشعلت الشموع و نفذت ما كُتِبَ بالحرف ،شعرت بعدها بالسخافة فلم يحدث شيء يُذكر عدا تمزق الورقة ...

"كيف ليّ أن أعلم إذا ما نجح الأمر حقا ؟!"

هكذا غمغمت لنفسها ..

اقترب الفجر ، و لم يجد جديد ، ملت الإنتظار فنهضت لتطفئ الشمعات و تلملم الوريقات على ضوء الشمعة الأخيرة ،بطرف عينها لمحت حروف الاسم المكتوب ،انتفضت في مكانها ،رفعت رأسها لترى إنعكاس مرآتها ، ليست تلك ملامحها ، تلك الشاحبة الضريرة ، التي إنكسرت وأوشكت على الانهيار ، تحاول و يحاول الإنعكاس الصراخ ،لكن لا صوت يجتاز الحلوق ،تحدق في إنعكاسها أكثر وأكثر ،تهمس بنبرة تباينت إنفعالاتها :

- أكرهك ، أكرهك و أتمنى زوالك

يُخيل إليها أن الأنعكاس يبادلها النظرات بعينين لا يحملان سوى البياض ،ترتسم على شفتيه شبح ابتسامة منكسرة ،لا تزال السكين التي استخدمتها هناك ،لم تعد تدرك أيهما يحملها ، هي أم الإنعكاس ،ما تدركه هو أن كليهما نحر عنقه الآن ، أن عدوها ما هو إلا .. إنعكاس ...

تمت

زجاج مكسور

اليوم يمر بطيئا كسلحفاة تصعد تلاً ، الحرارة مرتفعة ، و الرطوبة تجثم على الأنفاس ،ربما غسل بعض الصحون ورشرشة الماء تهون القليل ...

تقف أمام الحوض متململة ضجرة ، هي لا ترغب حقا بالنهوض من مكانها ، لكن إن لم تفعل تلقت اللوم و التقريع ، وهي لا تكاد تحتمل حرفا ،بالكاد تحتمل أنفاسها ،رفعت صوت الموسيقى لتصم أذنيها عن أي من الأصوات المحيطة ، أعصابها تزداد توتراً ، كوتر مشدود عن آخره ،حقا لم تعد تحتمل ، كثيرا ما تخيلت نفسها تضرب رأسها بالجدار مرات متتالية بعنف حتى تشجه ، إلا أنها لم تفعلها قط خشية أن يقلدها الصغار ، كانت كلما شعرت بقرب الإنفجار ظلت تخمش ذراعها بأظافرها حتى تشعر و كأن الذراع يحترق ألما بلسعات من نار ، فتزيد من الغرس علّ ألم الجسد يلهي عن ألم النفس ،أوشكت على الإنتهاء ، فقط تبقت بعض الأكواب أحضرها أحدهم لتوه ،لا تدري تماما ما حدث ، لكن الكوب بين يديها انكسر ، لم تنجرح ، لكنها تمنت لو فعلت ،أمسكت بقطع الزجاج المتناثر تجمعها ..

" أنتِ مهملة ، لامبالية ، مقصرة و ... "

صراخ و تأنيب و لوم متواصل ، الوتر يوشك على الأنقطاع ،شعرت مجددا بتلك اللسعة في رسغها ،الماء أصبح دافئا لزجا ،هي لم تفتح الصنبور ،الحوض تلون بالأحمر القاني ،بنظرة ساهمة لا مبالية على رسغها رأت قطعة زجاج تنغرس حتى ثلثيها ،ربما أخيرا سمحت لروحها أن تتبعثر و تتناثر ، تماما كزجاج منثور تحطم لألف قطعة ،الكوب كان به عدة شروخ غير مرئية ، فلما ضغطت عليه انكسر ،تماما كما بشروخ نفسها لم تجد بُدًا سوى أن تنكسر ....

تمت

بقلم Fatma El-zhraa Badawy

&

Sally Arafa

اللعبة

...You can hide ,but you can't runaway

ترددت تلك الكلمات في انحاء القصر من خلال السماعات المنتشرة في أرجائه ،كانت نبرتها أشبه بمن يتوعدك ،يتلذذ بتحطيم أعصابك قبل أن ينقض عليك انقضاضة الفهد على فريسته تلفت حوله لم يكن تبقى في ذاك البهو سواه و تامر وسهى ،كل يرمق الآخرين في توتر وترقب حذر ،رفعت سهى تمثالا نحاسيا كان بالقرب منها على أحد الطاولات الرخامية المنتشرة بالمكان و أخذت تلوح به بكلتا يديها و هي تقول :

- إن كنتما تظنان أنني سأكون الدرجة الأولى التي تصعدان عليها للخطوة التالية فأنتما مخطئان "

أخذ تامر يقترب منها ببطء ،مادا ذراعاه أمامه و هو يقول بنبرة حاول جعلها مطمئنة قدر الإمكان :

- ليس هذا ما دار بخلدي مطلقا

ثم التفت مشيرا إلى باسم و قال :

- و لا باسم أيضا
- لا تجعلا كوني فتاة يقلل من قدراتي على النجاة ،أنا تربيت وسط خمسة أشقاء كواحد منهم

تدخل باسم في الحوار قائلا :

- كما قال تامر ،لم يدر بخلدنا أن نقضي عليك ،في الواقع سنكون أكثر قوة متحدين

بحذر قالت سهى :

- ما الذي تعنيه ؟ "
- أعني أن ثلاثة فرصتهم للبقاء أكبر من واحد بمفرده ، الشروط لم تمنع تكوين الأحزاب

منذ عدة أيام مضت ،وصلت عدة رسائل الكترونية لعدد كبير من الأشخاص حملت نفس المعنى ،(منتصف ليلة الخميس المقبل ،انضم للحدث الاكبر ،عدد محدود تلقى هذه الدعوة المميزة ، لعبة مميزة الفائز فيها ستتغير حياته كليا ،هل تملك ما يكفي من الجرأة لتغامر بالمجيء؟ إن قررت الإنضمام إلينا قم بمحو هذه الرسالة بعد أن ترد بتأكيد الحضور)

مرفق بها عنوان لقصر في منطقة على أطراف المدينة ..

الساعة تناهز العاشرة قبل منتصف ليل الخميس ،قصر ضخم بحديقة واسعة مسور بأسوار حديدية عالية ،عدد لا بأس به من الناس بدء بالوصول إستجابة للرسالة ،ما من أحد دخل إلا وانجرح إصبعه بفعل دبوس خفي مثبت في زر الجرس ،وكلما دلف أحدهم تردد ذاك الصوت الأنثوي في أرجاء القصر عبر السماعات المنتشرة فيه

" هذه هي الفرصة الأخيرة للتراجع ، إن كنت تنوي دخول اللعبة ستجد على يسارك بردية من الورق .. ذيلها ببصمة اصبعك المدمم ،ما إن تفعل لن يكون هناك سبيل للخروج إلا بإنهاء اللعبة ،فكر قبل أن تقرر ،ولمساعدتك على اتخاذ القرار أخبرك الآتي ،الأمر ليس هينا وقد تضطر لمواجهة نفسك لكن في النهاية إن حملت لقب الفائز فستتغير حياتك كليا "

مع نهاية دقة الساعة الأخيرة من اثني عشرة دقة بدء الصوت الأنثوي يتردد في مكبرات الصوت مجددا ..

" الآن .. و بعد أن رحل أولئك الذين لا يملكون جرأة المغامرة ،حان وقت الإعلان عن اللعبة ،هو شرط وحيد ... ابق حيا ،احرص على أن تكون حيا بحلول منتصف ليل السبت عليكم الصمود في وجه أقرانكم ،كلما قتلت أكثر كلما ازدادت فرصكم بالفوز "

صاح أحد الحضور مقاطعا بهلع :

- قتل !!! لا .. لا لست بقاتل لم أتسجل باللعبة لأقتل

رد عليه الصوت بنبرة امتزجت بين الصرامة و السخرية :

- فات أوان الإنسحاب يا صديقي ، ألم تقرأ البردية التي ذيلتها ببصمتك الدامية ؟! هناك شرط جزائي للإنسحاب
- أيا ما كان الشرط الجزائي سأنفذه ،لن أقتل أبدا

دوت ضحكاتها في أرجاء القصر و من ثم قالت :

- إنه إختيارك ،مادمت لن تقتل ...ستقتل "

و ما إن انتهت آخر حروفها حتى بدء ذاك الشاب بالصراخ بفزع ،العرق يتصبب منه بغزارة ،جلده يزداد إحمرار في كل لحظة تمر ،و فجاة بدأ في الإشتعال و كأنما النيران صادرة منه هو ،حاول أحدهم أن يقترب منه للمساعدة إلا أن الصوت ردد في صرامة :

- من ينتوي مساعدته سيلق مصيره

ما هي إلا لحظات -عم فيها الصمت تماما إلا من صراخ ذاك الذي يحترق - حتى تحول أمام أعين الجميع الذاهلة إلى رماد

- هل من منسحب آخر ؟

وهنا ساد الصمت الذاهل المكان إلا من بعض الهمهمات هنا وهناك جراء ما رأوه للتو ،حتي أكمل الصوت بنفس القوة :

- حسناً... إليكم الآن قواعد اللعبة... كما قلت لكم قبل قليل.. كلما قتلت أكثر.. كلما زادت فرصتك أن تكون الفائز... الجديد هنا أنه يوجد خيارين.... إما أن تقتل بنفسك.... أو تستعين بي كي أقتل من تريد بدلاً منك..يمكنك أن تستعين بي لمرة واحدة فقط .. لكن بالطبع هناك مقابل... و إلا ستفقد اللعبه متعتها...

.....

ساد الصمت المكان في انتظار أن يكمل الصوت حديثه و يخبرهم ماهو المقابل ،لابد أنه مقابل باهظ الثمن ،لكن انتظارهم طال دون أن يجيب أحد تساؤلاتهم ،وهنا اندفع أحد المتسابقين نحو آخر يشتبك معه محاولا قتله ،وقف الجميع يتأملون المنظر في ذهول ،أحان وقت بدء اللعبة ؟! ،هل عليهم أن يشتبكوا مع بعضهم الآن ؟!!

لكن قطع تساؤلاتهم صوت المتسابق يصرخ أنه يريد من صاحبة الصوت أن تقتل المتسابق الذي اشتبك معه بعد أن فشل في قتله ،وهنا تكرر المشهد الذي حدث منذ قليل ،تصاعدت الأدخنه منه وأخذ يحترق ببطء شديد ،مخلفا وراؤه صرخات تدوي في فضاء من الذهول والرهبة ،وشخص ضخم الجثه ظهر من اللامكان ،أكان مختبئا هنا قبل دخولهم ؟! ،ولماذا هو مقنع؟! ،قطع نظرات الدهشه اندفاع الرجل بسرعه البرق نحو المتسابق الأول فيقتله في الحال.....

تردد الصوت من جديد وقد تبعثرت كلماته بعد ضحكة شنيعة ترددت في أرجاء المكان

- دعوني أخبركم أنه ليس من مصلحتي أن أساعدكم ،لماذا أقدم لكم يد العون ،ربما كان لزاماً عليكم أن تدركوا أن في الأمر خدعة ما ،ليس الأمر كما تظنون ،لكن كيف تعقد اتفاق لا تعلم مقابله

؟! أليس هذا تهور؟ ،دعونا من ذلك ،فقد نال مايستحق ،عندما تطلب مني يد العون لقتل متسابق ما فشلت في قتله ،سأساعدك نعم ،لكن المقابل أنك ستخوض معركه أخرى بالسلاح الذي تختاره مع واحد من تلامذتي المدربين ،كما حدث منذ قليل ،لكن تسرع المتسابق أفقده الحق في اختيار سلاح للقتال ،لذلك لا تتسرعوا... "

.....

عم الصمت مجددا ،وتردد في عقلهم سؤال يلح بشدة ،هل سأصمد حتي منتصف ليل السبت؟!

لم يعد هناك شك في مقدرة أحدهم على إزهاق روح أخرى فقد أصبح الأمر إما حياتي أو حياتهم ،وهنا تظهر غريزة البقاء

" أنا و من بعدي الطوفان " هذه كانت الفكرة المسيطرة على أغلب الموجودين الآن ،كان كل ينظر للآخرين بترقب حذر ،فلا أحد يعلم من أين ستأتيه الضربة التالية ولا متى أو كيف دقائق مرت على كل منهم كالدهر بدا فيها المشهد وكأن أحدهم ضغط زر الإيقاف المؤقت لعرض سينمائي ،وفجأة تحرك المشهد الجميع بدء الركض ،بعضهم يهاجم بشكل عشوائي البعض الآخر ،بعضهم يبحث عن مخبأ يحتمي فيه حتى يقضي الأخرون على بعضهم البعض

تستطيع رؤيتهم الآن في مختلف أنحاء القصر على السلالم ،عند البوابة ،في الحديقة ،في كل مكان ،فجأة تحول أغلبهم لأداة قتل وحسب ،أصبحت كل الأغراض المحيطة سلاحا محتملا

أصبح الآن الهدف الوحيد الصمود حيا حتى منتصف ليل السبت ،مهما كلف الأمر ..

الساعات تمر ببطء ،كل حين تستطيع سماع صرخة من هنا و صوت كسر عنق أحدهم من هناك ،قلة قرروا الاستعانة بالمساعدة الخارجية ،وجميعهم لم يصمد لثوان في القتال الجزائي

لم يجرؤ بعدها أحدهم على الإستعانة بصاحبة الصوت لتقتل بدلا عنه ،لا أحد واتته الشجاعة ليجرب ،ما رأوه لم يكن حافزا قويا ،فتلك الخطوة قد تكلفهم حياتهم أسرع مما يتوقعون ،لذا عندما تعالى صوت

تلك الفتاة قادما من الحديقة ب " يا صاحبة الصوت أقتليها ،ترك كل واحد غريمه و هرع ليشهد القتال المرتقب بين الفتاة وأحد رجال صاحبة الصوت ،بهدوء قالت صاحبة الصوت :

- (سهى) هل أنت واثقة ؟ صرت تعلمين ما ينتظرك

صاحت سهى و التي كانت مثبتة أرضا من قبل غريمتها التي تجثم على صدرها و تخنقها بكلتا يداها :

- افعليها .. إنني أختنق

دقائق معدودة و كانت سهى قد تحررت ،كانت مغطاة برماد غريمتها ،تجاهد لإلتقاط أنفاسها

- اختاري سلاحا

دون تفكير ردت سهى :

- سيف .. أرغب في قتال بالسيف

سرت همهمات بين الحضور أخرسها الصوت حين تحدثت مجددا :

- فليكن ...

من اللامكان .. ظهر مقنع آخر حاملا سيفين ألقى أحدهما لسهى التي كانت لا تزال جالسة أرضا ،و أشار إليها بالآخر أن هلمي إلي ..

تعالى صليل السيوف لفترة لا بأس بها من الزمن ،علت بعدها صرختان متزامنتان كان مشهدا عجيبا ،سهى تغرز سيفها حتى المقبض في صدر المقنع الذي بدء يتوهج بشكل غريب ما يشبه ضبابا اختلط لونه بين الأحمر الناري والأسود يندفع خروجا من فم المقنع دخولا عبر عيني سهى ،كلاهما يصرخ ،وفجأة طفى جسد سهى في الهواء للحظات و توهج بضي أحمر براق ،وتلاشى المقنع تماما ،بلا أي أثر ،وما إن عادت الأمور لطبيعتها و هبطت سهى أرضا مجددا حتى دوى في الأنحاء صوت تصفيق رتيب تلته الصوت قائلة :

- أحسنت ... أنت الأولى التي تتغلب على أحد رجالي ،وكمكافأة ،منحتك جميع قواه ومهاراته ،وهذا ما سيناله أي منكم إن تغلب على أحد رجالي ،كان قتالا ممتعا ،أحسنت مجددا"

الثامنة و النصف مساء السبت ،ستة فقط تبقوا ،وثلاث ساعات و نصف حتى منتصف الليل تامر ،سهى ،و باسم اتفقوا ان يتحدوا سويا ،و هذا ساعدهم كثيرا على البقاء أحياء حتى الآن ،كان ثلاثتهم قد اتفقوا بالفعل على الإتحاد للمرور من هذه اللعبة السخيفة، و بمجرد أن انطلقت إشارة البدء، حتى اندفع كل منهم نحو المتسابق الذي اختار قتاله.

كانت سهى أول من أنهى قتاله نظراً للقدرات التي أصبحت تملكها، بينما ظلت تشاهد المعركتين الدائرتين أمامها، لا تعلم هل ينبغي عليها التدخل أم سيؤذي هذا أصدقائها ،أنهى باسم قتاله سريعاً هو الآخر نظراً لقدراته الجسدية و ضعف منافسة ،ظل الإثنان واقفان لفترة.. قبل أن يصرخ المتسابق الذي يواجه تامر طالباً من الشيطانة قتله !

صرخت سهى أن لا أرجوكم لا تقتلوه، لكن أحداً لم يستمع إليها، فبمجرد أن أنهى المتسابق جملته، حتى بدء تامر في الإحتراق ،ساد الصمت للحظات عمها الدخان المتبقي في الهواء ،ونظرات الغضب تشتعل في عيني سهى، تقسم أن تنتقم منهم جميعاً ،وبعد لحظات ظهر تلميذ الشيطانة الثاني ،أضخم من الأول بمراحل، فابتسمت سهى بتشفي ، وهمست لنفسها :

- ها أنت ملاقٍ مصيرك أيها الوغد.

ماهي إلا لحظات حتي كان المتسابق جثة هامدة ،وما تبقى كان سهى و باسم فقط.

انطلق الصوت الشيطاني الذي ألفوه و حفظوا نبراته القبيحة :

- يالها من لعبة شيقة بحق، لقد استمتعت جداً ، وها هو مسك الختام، هلموا يا أعزائي ،فلم يتبق سواكم، أروني مالديكم ، أمتعوني حتى آخر لحظة.

ضحكة عالية عمت المكان، ضحكة سهى قبل أن تقول :

- ستستمتعي أيتها اللعينة، ستستمتعي، أعدك بذلك ووعد الحر دين

و اندفعت هي وباسم نحو إحدى غرف القصر ،حطموا الأقفال ودلفوا إلى الغرفة، و بمجرد أن عادوا إلي البهو مرة أخري وجدوها أمامهم ،شيطانة اللعبة!! ،ارتسمت ابتسامة رضا على وجه سهى و هي تقول :

- لا تندهشي يا عزيزتي ،لقد كنت أعلم سر اللعبة منذ البداية ،لكني لم أكن أعرف هذا مكان بعد.

ورفعت يدها بخنجر صغير مزخرف بالذهب الخالص كما يبدو، شديد اللمعان والحدة و الثقل ،أردفت سهى :

- هذا الخنجر الذي يفقدك كل قدراتك، لتصبحي أضعف مما يمكن، لتصبحي تحت سيطرة من يملك هذا الخنجر ، وهو أنا الآن كما هو واضح، إنها جولتي لأنتقم، هيا يا عزيزتي اقتربي اقتربي لتمنحيني كل ما حلمنا به من قوة ، سطوة ، و نفوذ ، و كل ما تمتعتِ به يوما من قدرات "

و ما إن اقتربت الشيطانة منها مرغمة انصياعاً لأوامرها، حتى غرزت الخنجر في عنقها حتى مقبضه، لتسقط أرضاً تصارع لإلتقاط أنفاسها ،رفعت سهى قدمها لتسحق عنق تلك اللعينة التي لازالت متمسكة بحياتها قائلة :

- أليس من الغباء أن تحتفظي بذلك الخنجر في مكان المسابقة ؟ هل كنتي تظنين أن جميعنا أغبياء مثلك؟! حقاً كم أنتِ مغرورة غبية ،ألقاكِ في حياة أخري ،وداعاً يا عزيزتي ".

و سحبت الخنجر من عنقها لتغمده في قلبها ،ويغادرا القصر بمجرد أن انفتحت أبوابه ،وبمجرد أن اجتازوا باب القصر حتى وجدوا باقي تلاميذها واقفين علي جانبي الباب بلا حراك، و كانهم تماثيل من شمع ،دقات الساعة تعلن تمام منتصف ليل السبت ، و إنتهاء اللعبة ....

تمت

القصة الأخيرة

حروف بلون الدم

ها قد حان الوقت، إنه اليوم المنتظر للجميع ،تم الحشد والتخطيط مطولا من أجل هذا اليوم ،من أجل ذلك تم التنظيم لمسابقة أدبية، تتكون من ثمانية فر،أُختير قادة الفرق بعناية فائقة ،وبدورهم اختاروا أعضاء فرقهم حسب معايير خاصة ،بعد انتهاء الجولة الأولى واختيار الصفوة من الكُتاب الذين حالفهم الحظ للبقاء في المنافسة ،كانت الجولة الثانية أكثر صعوبة كما الخطة الرئيسية ،والآن بعدها قد بدأت الجولة الأخيرة بتأهل أربعةٍ فقط ،ظن هؤلاء الكتاب أنهم يسيرون على الطريق الصحيح ،في سبيل تحقيق طموحاتهم ،أو هذا ما أراد مُنَظِموا المسابقة أن يحدث ،ها هم أربعة كُتابٍ فقط من بين عدد كبير، ينالون فرصة عظيمة، ليكونوا في استضافة كاتب الرعب "محمد المخزنجي" أحد قادة الفرق المشاركة ،وأحد أهم المخططين والمنظمين لهذا اليوم ،لقد قرر المخزنجي أن تكون هذه مسابقة استثنائية بكل المقاييس، فبعث ببطاقات دعوة للمتسابقين المتأهلين ،لاستضافتهم في قصره الكبير في قلب الغابة ،قصر ببوابة عملاقة مزينة بالجماجم والعظام ،دخلنا من البوابة الرئيسية يسبقنا الخوف الممزوج بالفضول ،أي مسابقة أدبية ،تستدعي مثل هذه الإجراءات ،شعرنا برهبة حين وصلنا الباب الداخلي بعد أن اجتزنا الممر الطويل ذا الأعمدة الرخامية العتيقة التي تصل بينها بوابات من نار تلفحنا نفخاتها الساخنة ،عند باب القصر وقفنا منتظرين أن يَفتح لنا أحد ،رغم غرابة المكان ،هل يعقل أن كتاب الرعب بهذا الجنون، لدرجة السكن في هذا المكان الغريب ،بموقعه وتصميمه وديكوراته...!! ،أخيرا بعد انتظار.. فُتِح الباب بهدوء وبطء شديد ،استغرق لحظات هوت فيه قلوبنا ،كُنت أول الداخلين ،نفذت رائحة البخور لداخل صدري ،وغشي عيني ضباب كثيف لكني تقدمت وتبعني رفاقي المنافسين ،ثوان وانقشع الضباب ليظهر لنا عرش غريب وسط الظلام ،محاط بقناديل من الجماجم

البشرية ،يجلس عليه رجل يكسوه الغموض ،شعره منسدل على وجهه ،كدنا لا نعرفه لولا صوته الذي أتى عميقا :

- مرحبا بكم أيها المبدعون في قصري المتواضع ،دعونا لا نضيع وقتا ،فكل دقيقة تحتسب من عمركم.

نظرنا لبعضنا البعض بعد كلمات " المخزنجي " المقتضبة ،كانت نظراتنا ملأى بالفضول والاندهاش ،وكأنه قرأ تساؤلاتنا فسارع بالكلام :

- كما تعلمون فهذه الجولة النهائية ،الجولة المصيرية ،وكي لا أطيل عليكم سأختصرها "جولة حياة أو موت!" ..

لم يمهلنا لنندهش بما يكفي فقد أكمل حديثه الهاديء ،بصوته العميق الذي يدل على كاتب رعب يمارس الرعب كأسلوب حياة ليردف :

- نعم يا أصدقائي ،لن تكون هذه جولة كتابة فقط ،نعم ستكتبون ،لكن ستنفذون ما تكتبون ستعيشون قصصكم التي سيكون ،أبطالها أنتم ،ستعيشون الرعب كما لم تعيشوه من قبل أنتم الأبطال ،وأنتم الضحايا ،نعم ضحايا ليس فقط على الورق ،بل على الواقع.

لم نفهم شيئا إلا حين نظر بطرف عينه إلينا وقد لمعت عيناه ببريق مرعب ،وقال تلك العبارة :

- نسيت أن أقول لكم ،لن يخرج من هذا القصر إلا كاتب واحد.....

شعرت برجفة تسري في أوصالي ، وقلت في نفسي :

- ما هذا الجنون ؟ ،هل يقصد حقا المعنى الذي وصلني ؟ هل سنقتل بعضنا بعضا ؟

نظر أربعتنا شطر بعض ،ومنه إلى حيث عرش المخزنجي الذي أشار إلى طاولة رخامية صغيرة أمامه ،تراصت عليها أربع مجموعات من الأوراق ،وإلى جوار كل منها ريشة كتابة

تقدمنا لتحصل كل واحدة على مجموعتها ،تساؤل أكاد أجزم أنه لم يدر بخلدي أنا فقط ،إذا كنا سنعتمد هذه الطريقة القديمة في الكتابة فأين هي المحبرة إذا ؟!

وكأنه يسمع و يرى الأفكار التي تمر خلال رأسي وجدته يجيبني بصوته العميق الهادئ :

- ستتكفل الريشة بأمر الحبر ،لا تشغلي بالك سوى بما ستكتبينه

هنا هتفت إحداهن :

- ما الذي كنت تقصده بأننا سنعيش قصصنا ؟!

أجابها و هو ينهض مغادرا عرشه :

- ستكتشفن كل شيء لاحقا ،ابدأن فقط بالكتابة ،فالوقت يمر في سرعة

في اللحظة التالية لمغادرة المخزنجي التقطت ريشتي ،كنت أعمل فكري فيما يمكن أن أكتبه حينما شعرت بتلك الوخزات المتتالية ،كنت أمسك مبسم الريشة بينما أخذت بقيتها تستطيل و تلتف بطول ذراعي كأفعى البوا العاصرة ، تعتصره بينما تتحول بعض ريشاتها لما يشبه الأنابيب الصغيرة تنغرس فيّ ،ومن ثم تبدأ بالتلون باللون الأحمر القاني ،الآن أدركت كيف أن الريشة ستتكفل بأمر الحبر ،كنت أرغب في فهم مقصد المخزنجي بقوله "ستعيشون قصصكم "

لذا بدأت في الكتابة بحذر ..

(على حين غرة ،وجدتني قد أصبحت وحدي في بهو القصر ، رفيقاتي الثلاث قد اختفين تماما)

كنت أشعر بذراعي يشتعل و أنا أرى الكلمات التي سطرتها -على تلك الأوراق التي بدت أشبه بأوراق من الجلد المدبوغ -تتحقق ، لقد اختفين فعلا من حولي ! ،يبدو أن لا شيء في هذا المكان سيخضع للمنطق ،الخيال وحسب سيكون هو السيد ،فجأة وجدتني مُحاطة بما بدا كجيش مصغر من هياكل عظمية تحمل سيوفاً ! ،لابد وأنهن توصلن لما توصلت له ، هذا يعني أنه عليّ أن أسرع

بالكتابة للخلاص منهن قبل أن ينهين عليّ ،رغم ذعري الشديد من تلك الهياكل التي أخذت تقترب مني في تؤدة محطمة للأعصاب ،إلا أنني تربعت أرضا وعدت أكتب

(توقفت الهياكل العظمية في إنتظار تلقي أوامر لفظية لا مكتوبة ممن استدعتها ، بدا أن هناك شرطا خفيا يُلزم الكاتب بوجوده في ذات المكان مع الهياكل)

لقد توقفت فعلا !! ،إذا علي أن أكون حذرة ،دقيقة فيما أكتب :

(انتقلت من توي إلى ممر الأعمدة الرخامية ، هناك سأستطيع الإفادة من بوابات النار ،أخذت أردد تعويذة ما باللاتينية - رغم أنني يوما لم أدرسها - لكنها انسابت على لساني بسلاسة ، علمت يقينا أن تلك التعويذة ستشكل من النيران تنينا مجنحا هائل الحجم ، لا يأتمر سوى بحروفي مكتوبة كانت أو ملفوظة ، لن تؤثر فيه أي من حروف منافسيّ ...)

لم أكن واثقة تماما من نجاح تلك الفكرة ،لكن وجدتني أردد عن غير وعي تلك التعويذة التي ذكرتها ،لأرى التنين يتشكل خارجا من النيران ،ضربات جناحيه زادت من حرارة الجو المحيط ،حلق مسافة قصيرة ليهبط بعدها أمامي مباشرة محني الرأس في طاعة تامة ..

"حسنا ، ستكون مكلفا بحمايتي إلى أن تأتيك أوامر أخرى مني "

الدوار بدأ يكتنف رأسي ،لابد وأنني استهلكت قدرا لا بأس به من الدماء ،لا بد أن أمسي الوحيدة التي ستخرج من هذا القصر ،عليّ أن أضمن ذلك قبل أن تقضي عليّ إحداهن ،أو الأسوأ ،أن يقضي عليّ الإعياء قبلهن ،أخيرا خطرت ليّ فكرة ،أتمنى حقا أن تنجح

(الخوف أصبح سيد الموقف ، قد أكون في حماية تنين عملاق ،لكن المجهول يظل مخيفا كفاية ،استحضرت تعويذة تحول إحدى البوابات لمرآة عملاقة ، تعرض ليّ ما يجري مع البقية الريشات بدأت بمخالفة رغباتهن ،لا تخط ما يملنها من كلمات ،وكأنما أصبحت بإرادة مستقلة تسيطر على اليد الممسكة بها لتخط ما ترغبه هي ،بدا واضحا من نظرات الذعر الجلية في أعينهن أن ما يُكتب ما هو إلا أعمق مخاوفهن الشخصية التي لا يعلمها سواهن ، مخاوفهن التي بدأت تتجسد واقعا أمامهن يعشنه

بكل تفاصيله ،كلما حاولت إحداهن كتابة شيء مختلف ،ازدادت الريشة عندا ،واستزادت في وصف الهلع الذي يحل بهن ،لا فرار من المصير المحتوم ،فإما ستقتلهن مخاوفهن ،أو أن الحبر سينفد ،وفي الحالتين ،النهاية قادمة لا محالة

كنت الوحيدة في مأمن من غدر الريشة بفضل تعويذة الحماية التي ألقيتها عليها قبل استحضار المرآة ،لذا .. أظنني هي الكاتبة التي ستخرج من هذا القصر ..)

مع آخر حروف أسطرها شعرت بالضباب يلفني من كل جانب ، بالكاد استطعت رؤية أنني عدت لبهو القصر ،رائحة البخور ،العرش ،قناديل الجماجم ،أشعر بصدري يضيق بأنفاسي ،دوار عنيف ،أحاول الوقوف لكن ،أرتمي أرضا ،ليس ببعيد يقف المخزنجي ،لا بد من أنه هو ،الملامح غائمة في بصري ،يصفق برتابة و هدوء و ... من ثم أغيب في الظلام

لم أعلم كم مضى عليّ من وقت غائبة عن الوعي ،لكن حين استفقت كنت مستلقية في فراش وثير بغرفة واسعة ،بدا واضحا أنني لم أغادر القصر بعد ، لكنني لازلت حية ،أظن هذا مؤشرا جيدا ،ألقيت نظرة على ذراعي حيث كانت الريشة ، لكنها لم تكن هناك ، فقط جروح صغيرة حيث كانت الأنابيب مغروسة ،غادرت الفراش و أنا أغمغم لنفسي قائلة :

- إذن لربما انتهى الأمر فعلا

لأجد المخزنجي يجيب بصوته الهادئ العميق :

- لقد أوشك على ذلك

لست أدري من أين يظهر هذا الرجل ، يبدو و كأنه ينبعث فجأة من العدم ،إن الرعب له ليس مجرد كتابة أو تقمص ،بل هو فعليا أسلوب حياة :

- ما الذي تعنيه بأوشك على ذلك ؟ ،لقد اختفت الريشة ما يعني لا مزيد من الكتابة
- ألم تتسائلي لمَ كان الحبر من دمائكن ؟ أو عن سبب أن أوراق الكتابة كانت جلدية ؟

لم أحرَ جوابا ،و لم يبدُ أنه ينتظر واحداً حيث أكمل قائلا وهو يدور حولي :

- عهد و ميثاق بحروف من دم ،وقرابين ثلاث قدمتها أنتِ ،بكامل رغبتك

هززت رأسي في عدم فهم ،فاستطرد قائلا :

- لقد أتممت عهدا مع قوى الظلام ،مقابل أربع قرابين ،شرط أن يكون القربان الأقوى هو من يضحي بالبقية ،راغبا في ذلك ،وهذا ما فعلته أنتِ

بيأس وبينما بدأت أستوعب ما يرمي إليه قلت :

- لا أحد كان سيخرج فعلا من القصر ، أليس كذلك ؟
- بلى ، و نعم
- هاه ، لست أفهم حقا !
- ستخرجين ،لكنك لن تعودي الشخص ذاته مجددا

تمت

هذا عمل مشترك بيني و بين أستاذي محمد هيكل Saif Mohamed Haikl

كتب هو المقدمة و أكملت الخاتمة Fatma El-zhraa Badawy

هذه قصة مختلفة لو تعلمون

من فعلها ؟

شيطان أخرس

عند منتصف الليل تماما انطلقت صرخات مرعبة متتالية ،دقات علي الأرض ،البناية بالكامل تستيقظ متوترة قلقة ،كسرب من النمل تم رشه بالسولار ،النعاس لم يفارقنا لكن القلق يملأنا عن آخرنا ،من أين جاءت هذه الصرخات ؟ ،شقة الأستاذ منصور في السابع يخرج منها الدم من أسفل الباب يمثل بقعة مقيتة تتسع ،بعد ساعة تقريبا كانت الشرطة في المكان ، كان المنظر بشع ومرعب ،الأستاذ منصور مقيد إلى كرسي والدماء تنزف من فمه ببشاعة ولسانه مقطوع وملقى على الأرض ،من ألقاه هناك كان يريدنا أن نعرف ،والجسد نفسه ينزف من أكثر من موضع أو بالأحرى كان ينزف ،الدماء متجلطة تقريبا ، وعينيه مرسوم فيهما أعتى آيات الرعب .

هذا رجل تم قطع لسانه حيا ،أصيب البعض بحالات إغماء وقيئ ،وبدأت التحقيقات على الفور ،نفس السؤال يتم تكراره عشر مرات على الأقل ،حالة الذعر ستستمر معنا لعدة أيام قادمة ،ما الذي فعله الأستاذ منصور ليموت بهذه البشاعة ،وضع الجميع أقفالا داخلية علي الأبواب ،حالة الذعر والتوتر رهيبة ،والبعض بدأ يفكر في الرحيل ،في الخميس التالي وعند منتصف الليل كذلك ،انطلقت صرخة واحدة شقت الصمت ،لم يخرج أحد كما في المرة السابقة بل أن الجميع ظن أنه لم يسمع شيئا ،تلك الحالة التي نتوهم فيها أنه لا يحدث شئ بينما الخطر يحدق بنا .

في الصباح كانت هناك بقعة كبيرة من الدم تخرج من باب شقة مدام عنايات في الدور الثالث ،تم الطرق علي الباب عدة مرات ثم تم كسره ،أبنائها مخدرون تماما ولم يصبهم سوء بينما هي مقيدة علي

الكرسي ،قريبة من الباب ولسانها مقطوع ،كم يوما تستطيع أن تعيش في بناية يموت سكانها بقطع ألسنتهم ثم تركهم ينزفون حتى الموت ؟! .

التحاليل تثبت أنهم كانوا مخدرين قبل الموت ،لم يكن مفعول المخدر قد اكتمل تماما لذا كانت الصرخات كثيرة في المرة الأولي وصاحبها دق الكرسي علي الأرض أثر محاولة المقتول الاستغاثة ،في المرة الثانية كان مفعول المخدر أقوي ،فانطلقت صرخة واحدة فقط ،التحريات أثبتت أنه لم يدخل البناية أحد غريب عن سكانها ثم كان الخبر الصاعق ،القاتل هو أحد سكان العمارة ،من يا تري هو الضحية القادمة منتصف الليل الخميس القادم ؟

المفتش ممدوح عبدالوهاب هو من يتولي التحقيق في القضية ،شاب ذكي وله خيال واسع ،بحث في تاريخ العمارة فوجد ما يلي ،العمارة مكونة من عشرة أدوار ،منذ عشرة سنوات تقريبا ، كانت هناك حادثة من نوع آخر ،حيث قيل أن مدام عنايات شاهدت الأستاذ منصور يخرج من شقة المهندس أحمد في غيابه ،في إشارة صريحة لتناول سيرة زوجة المهندس أحمد بالسوء ،أخذ الجميع يتكلمون في شرف المرأة دون دليل واضح ،ثم بدأ الجيران ينظرون إلى المهندس أحمد بسخرية بالغة ،بل يتكلمون بألفاظ نابية عليه ،أصبحت الحياة لا تطاق "نسرين" زوجة المهندس أحمد فتاة رقيقة جدا ،لم تواجه في حياتها مثل هذه الاتهامات ،نسرين أصبحت تكره الناس وتكره النظرات المتشككة في عيون زوجها ،كأنهم يطعنوها بألف خنجر في نفس الوقت ، يأكلونها بأعينهم ثم يلقون بها علي قارعة الطريق لكلاب السكك تنهش لحمها .

نسرين تترك فراشها الدافئ وتصعد إلي السطح ، في الحقيقة هي لا تكاد تري أمامها ، تقف علي السور العريض هناك ، يستقبلها الهواء البارد ، تدمع عيناها حتى يكاد أن يغرقها ،ماذا فعلت كي تستحق كل هذا ،في لحظة ما ستفقد توازنها وتسقط ،صرخة رهيبة طويلة عند منتصف الليل تقريبا ،بعدها سيختفي المهندس أحمد من المكان بشكل تام وستنقطع أخباره تماما

عقل ممدوح يعمل بلا توقف ،القاتل لابد وأن يكون من سكان العمارة ،من هو ؟ يطالع ملف التحقيقات من جديد ،من هو أحدث وافد علي العمارة ،يوجد شاب يسكن في الدور الخامس حسنا لابد من القبض عليه قبل وقوع جريمة أخري ...لقد اقترب منتصف الليل ،لماذا يختار القاتل منتصف الليل؟ ،لابد وأنه الوقت الذي لقيت فيه زوجته حتفها ،هذا منطقي فعلا ،في لحظات يأمر القوة

بالتحرك ،عند شقة معينة في الطابق الخامس يتم طرق الباب وإلقاء القبض على من فيها . شاب في الأربعينات تقريبا ،أخيرا ستحظى العمارة بليلة خميس هادئة ،هكذا ظن المفتش ممدوح .

عند منتصف الليل تقريبا ،انطلقت صرخة أخري رهيبة من داخل العمارة ،في تلك اللحظة تماما كان المفتش ممدوح يعود إلى العمارة خبط علي جبينه بيده وقال يا لي من أحمق ،هناك شخص واحد فقط يستطيع دخول كل شقق العمارة ،وطلب الإسعاف أيضا ،في الدور الثاني بالضبط كانت الضحية لا تزال علي قيد الحياة وإن كان لسانها قد تم قطعه بالفعل ،كان القاتل يقف بهدوء شديد وعلي شفتيه ابتسامة عريضة .....

كانت الساعة تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل بقليل ،عندما تم نقل مدام علية - الضحية الثالثة - التي تسكن في الدور الثاني - إلى المستشفى ،كانت في حالة صدمة ، فقدت نسبة لا بأس بها من الدماء ،بدا و كأن من قطع لسانها لم يكن يعنيه كثيرا سوى انتزاع لسانها و حسب ،عكس ما حدث مع الأستاذ منصور و مدام عنايات ، فقد بدا القتل متعمدا ، كل طعنة بدت مدروسة و محسوبة قبلا بقصد الإفضاء للموت

في قسم الشرطة ، جلس ممدوح إلى مكتبه ،وأمر الكاتب بفتح محضر وتسجيل التاريخ والساعة ،ومن ثم التفت للقاتل أمامه قائلا :

- إذا ، هلا أدليت باسمك الرباعي ، و سنك لإثباته في المحضر ؟
- ناريمان عبدالله محمود سالم ، أبلغ ثلاث و ثلاثين سنة

كانت هادئة للغاية ،يرتسم على محياها ابتسامة لطيفة ،من يراها يظنها تجلس في نادٍ أو منتجع ،لا في قسم شرطة تواجه تهمتي قتل ومحاولة الثالثة

- لماذا ؟

اتسعت ابتسامتها وهي تجيب بذات الهدوء :

- عذرا لم أفهم السؤال ، لماذا ماذا تحديدا ؟
- لماذا فعلتِ ما فعلته ؟ ،لمَ قتلت كلً من الأستاذ منصور ومدام عنايات ،وكدتِ تقتلين مدام علية ؟

شردت ناريمان بذاكرتها لأكثر من عشر سنوات مضت بينما غمغمت قائلة :

- جميعهم استحق ما آل إليه مصيره

منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما مضت ،التقت ناريمان بنسرين ،كانتا مقربتين من بعضهما البعض ،اعتبرتها ناريمان الأخت التي لم ينجبها والداها لأنها كانت وحيدة أمها ،ولديها أخ غير شقيق من أبيها يكبرها ببضعة أعوام - المهندس أحمد - عرفتهما ببعضهما البعض بعد ذلك بعامين ،وتمت مراسم الزفاف في شهور معدودة ،كانت الأمور على خير ما يرام ،أحمد ونسرين يهيمان ببعضهما البعض ،ويبعثان كل يوم برسالة لناريمان يشكرانها على جمع كل نصفٍ بنصفه الآخر ،إلا أنه جاءت فترة قلّ التواصل معهما ،انشغلت هي في تحضير دراساتها العليا في الخارج ،وظنت أن أمور الحياة قد شغلتهما ،لكن شيئا ما في ردود أخيها المقتضبة ،ونبرة الحزن البادية من بين حروف صديقتها أثارت في نفسها الشك ،دار ببالها كل ما يمكن من عقبات ومنغصات كخلافات عابرة وصولا لتأخر الإنجاب ،لكن لم يدر بخلدها أبدا أن يتعلق الأمر بالشك في شرف صديقتها ،هي تثق فيها أكثر مما تثق بنفسها ،لذا عندما أتاها نبأ إنتحارها و سببه كانت صدمتها عظيمة ،يمكن للظلم فعلا أن يدفع المرء لقتل نفسه هربا منه ،حاولت أن تعرف التفاصيل ،لكن أباها رفض التحدث بالأمر ،وهكذا فعل أحمد ،غادرا العمارة رغم أن الأب يملكها و يؤجر شققها - إلى منزلهم في الريف ...

لم يتوقف الأمر عند ذاك الحد ،لم يستطع أحمد أبداً تجاوز إنتحار نسرين ،لو أنها مذنبة حقا لربما كانت طلبت السماح والعفو ،لطلبت فرصة ثانية بعد انكشاف السر ،لكن لا ،إنتحارها أثبت له قطعيا برائتها ،كانت شفافة نقية لم تحتمل أن تتعكر بهتانا وزورا ،كانت هشة وسرعان ما انكسرت بفعل سهام الكلمات والنظرات المسمومة ،إدراكه أنه أيضا ممن ظلموها بنظرات الشك أدخله في حالة إكتئاب حادة أودت به للإنتحار هو الآخر بعدها بخمس سنوات .

- و لماذا يستحقون -في نظرك- القتل ؟
- أوليس من قتل يُقتل ؟

نظر لها ممدوح بدهشة وسألها قائلا :

- ومن قتلوا ؟ الأوراق تثبت أن موت نسرين انتحار لا شبهة جنائية فيه
- لا ينبغي أن يدفعوها بأيديهم من أعلى السور لأدينهم بالقتل ،ألسنتهم ونظراتهم تكفلت بذلك
- دافعك فيما يتعلق بمنصور وعنايات واضح ،حيث أنهم من ظهرت أسمائهم في الروايات التي نُقلت عن حادثة أخيك وزوجته ،ماذا عن علية ؟ ،هل كنتِ تنتوين الإستمرار بقتل جميع السكان الذين لاكت ألسنتهم سيرة نسرين بالسوء ؟
- منصور ،عنايات ،وعلية ،البقية سيتكفل القدر بهم ...

عادت "ناريمان" من الخارج منذ سنة ،عادت لتستقر في شقة والدها في العمارة التي شهدت تشويه سمعة أقرب اثنين لقلبها وقضت على حياتيهما ،لم يعلم أحد بصلتها المباشرة بهما ،كل ما عرفوه بشأنها أنها نسيبة من بعيد وأنها ستتولى أمور الإيجار و الصيانة ،في حين سعت هي للتقرب من الجميع ،وعاجلا أصبحت مستودع أسرار نساء العمارة ،البداية كانت عند علية ،الساكنة في الدور الثاني ،شقتها تقع أسفل شقة عنايات -في الدور الثالث- تماما ، حكت علية لنسرين أنها ذات يوم وجدت قطعة ملابس تخص عنايات واقعة في شرفتها ، قررت الصعود لإعادتها خاصة وأنها كانت تسمع ضحكاتها منذ قليل عبر شباك المطبخ المطل على المنور فتأكدت من وجودها ،عند صعودها استغرقت عنايات وقتا طويلا لتفتح لها الباب ، كان باديا عليها الإرتباك و تظاهرت أنها كانت نائمة ،في الصالة رأت علية بقايا سيجارة مشتعلة في المطفأة ،وحين دخلت عنايات لتحضر واجب الضيافة تبعتها علية ببصرها لتلمح منصور يهرع خارجا من غرفة النوم متوجها للحمام ...

عنايات أرادت ألا تبدو... ،لا أجد لفظا أخف حدة فاعذرني -العاهرة الوحيدة في نظر علية ،عنايات علمت أن علية ستثرثر مع النسوة بالكلام ،ولابد من إشاعة تشغل بال الجميع وتبعده عنها ،بعض الحقيقة في الإشاعة مع تسريبها لشخص تثق أنه لن يستطيع الكتمان حال قلت له أنه سر سيمنحها بعض المصداقية ،أغلب الناس الآن يمشي وراء أذنه ،لا يتعب نفسه بالتحقق من صحة ما يرده ،لذا في وقت لاحق نشرت عنايات خبر رؤيتها لمنصور يخرج من شقة أحمد في غيابه ،كونها تسكن في الشقة المقابلة منحها شيئا من المصداقية ،علية لم تدافع عن نسرين رغم علمها الحقيقة ،منصور ،يبدو أنه استمتع بسمعة زير النساء و لم ير فيها ما يعيبه

- صدقني يا سيادة المحقق ، جميعهم استحق ما ناله ، هذا هو العدل
- لكن ألا ترين أن ذلك عدل شريعة الغاب ؟ لو أن كلا أخذ حقه و ثأره بيده لأمسينا نعيش في الغاب

اتسعت ابتسامتها و هي تسترخي أكثر في مقعدها و تقول :

- ومن قال أننا أصلا لا نحيا في الغاب ؟!
- إذا تقرين بما هو منسوب إليك من تهم ؟
- أجل
- أُغلق المحضر في ساعته و تاريخه ، وقعي على أقوالك

تمت

محاولة فاشلة

- شششش .. اصمتي ،لا تحاولي لفت انتباه أيا كان ،ألا يكفيكِ ما فعلت حتى الآن ؟

كانت تنتحب بشدة غير قادرة على التفوه بكلمة ،لا بل غير قادرة حتى على التفوه بحرف واحد إزداد بكاؤها ،فوضعت يديها -كلتيهما على فمها وغطت جزءً كبيرا من أنفها :

- قلت اصمتي ،لا تحاولي الاستنجاد ،كفاكِ ارتكاب أخطاء

اتسعت حدقتا عيناها ،وأخذت تشهق بعنف محاولةً التنفس ،محاولةً إدخال قليل من الهواء إلى رئتيها ،نقلت يداها إلى رقبتها وأخذت تعتصرها بكل ما أوتت من قوة :

- هلا متِ وأرحتي منك الأنام ؟! ،أيتها الحمقاء عديمة الإحساس ،ارحلي عن الدنيا ،ارحلي

دوار يكتنف رأسها ،ترغب في الإستسلام ،لكن غريزة البقاء أقوى ،تتراخى يداها عن عنقها ،و يندفع الهواء دخولا ،كم هي مؤلمة تلك الأنفاس ،يرن جرس الهاتف ،تحاول أن تهدأ قبل أن تلتقطه لترد :

- نحن بإنتظارك ، ستتأخرين عن حضور الاجتماع
- ساعة زمن على الأكثر و ستجدونني أمامكم

تركت هاتفها لتغتسل ببعض الماء البارد ،ومن ثم تضع الكثير من مساحيق التجميل لتخفي الهالات أسفل عينيها وتمحو آثار البكاء ،لتتوجه بعدها نحو خزانة الملابس ،انتقت رداءً ذي رقبة عالية ،ووشاحا ،تحسست عنقها الذي بدا واضحا عليه آثار يديها ،ومن ثم أحكمت تغطيته بالوشاح و هي

تغمغم قائلة لإنعكاسها في المرآة :

- ربما غريزة البقاء كانت الأقوى هذه المرة ،لكنني سأتغلب عليها في وقت ما

وعند خروجها ،ارتدت قناع الإبتسامة فلا ينبغي أن يرى أحد ما يرقد في أعماقها...

تمت

غريب

كالغريب ... هذا ما أصبح عليه شعوره ،غريب بلا إنتماء ،ضيف متنقل ينتظر دوما لحظة الرحيل ،توفي والداه في حادث وهو في نهاية المرحلة الثانوية ،شقيقه الأكبر كان قد تزوج في منزل الأسرة ،لم يكن له دخل يكفي أن يستقل بالمعيشة في منزل آخر ،الوالدان ظنا أن العمر بهما سيمتد و يتمكنان من توفير مسكن بديل لأحدهما ،دخل الجامعة ،اختار كلية نظرية حتى لا يثقل كاهل أخيه ،عمل بوظيفة بعد الظهر ليتكفل قدر المستطاع بمصاريفه ..

- لست أدري كيف أقول ما أرغب بقوله ،لكن لطالما كانت الصراحة أقصر الطرق ،تعلم أن الحمو الموت ،لذا ،فبقائك معنا بالمنزل لم يعد مقبولا ،سأبحث لك عن غرفة تستأجرها ،لكن لن أتمكن من دفع بدل الإيجار لأجلك "

غريب بلا إنتماء ،لحظة الرحيل تلوح دائما في الأفق ،لم يفرغ حقيبته قط ،دائم التنقل ،زياراته لبيت الأسرة أصبحت محدودة ،فشقيقه دائم التحجج بأن الوقت غير ملائم للزيارة ،أن الطعام لن يكفي ،أن الأبناء في موسم امتحانات ،أن زوجته مجهدة غير قادرة على القيام بواجب الضيافة ،كان لديه معين لا ينفد من الحجج ،و كان هو يصمت ،تدريجيا انقطعت الصلات ،ازدادت غربته حتى عن نفسه أكثر فأكثر ،عجز عن دفع بدل الإيجار ،عن دفع مصروفات الجامعة ،عجز عن الحصول على ما يكفي للحصول على بضعة أرغفة بلا غموس بعد أن طرده رب عمله حين علمه بعدم ثباته في محل إقامة ،عجز عن الحياة ،غريب بلا إنتماء ،لا أهل ،لا رفاق ،غريب و سيظل ،لم يعد يفرق إلى أين الرحيل التالي ،فلم لا يكون هذه المرة رحيل أخير ،ترك حقيبته إلى جوار سور جسر فوق النيل ،علّ أحدهم بها

بعده يستفيد ،و للمرة الأولى رحل وهو عالم إلى أين سيكون المستقر ،وهو عالم أنه لن يضطر مجددا لأن يكون ذاك الغريب....

تجربة

كانت تجربة هامة -له- تلك التي يعمل عليها ،قضى زمنا في الأبحاث ليثبت صحة النظرية التجارب الأولية على القردة أتت إيجابية جدا ، لكنها لم تروي فضوله أبداً

أراد أن يجرب على البشر - فهكذا ستكون النتائج أكثر وضوحا - التحكم في العقل ، في السلوك و التصرفات، لم يقتنع بصحة النتائج الواردة من بيانات الحيوانات ،فهو مقتنع أن الحيوانات قابلة للترويض بالتدريب ،أما الإنسان فهذا ما يحتاج للتأكد منه ...

ذات ليلة قرر أن يجرب في زوجته ، قطعا لم يخبرها ما ينتوي ،وضع مخدرا خفيفا في شرابها ،وما إن غابت عن الوعي حتى غرس المحقن ذي السائل الملون في وريدها العنقي ، ومن ثم همس ببضع كلمات في أذنها ، و حملها للفراش ، أحكم وضع الغطاء عليها و تركها لتنام

في صباح اليوم التالي ..

استيقظت الزوجة و توجهت لحيث معمل زوجها في القبو ،رأته يغرس عدة محاقن تحمل كل منها سائل بلون مختلف في رأسه ، حين أحس بها التفت إليها بابتسامة قائلا :

- عزيزتي ، هلا ساعدتني في إفراغ تلك المحاقن ؟

بادلته الابتسام وهي تقول :

- عذرا عزيزي عليك أنت أن تنهي الأمر ، لا تريد ليّ التورط صحيح
- أجل .. أنت محقة
- بالمناسبة هل غيرت الجزء المتعلق بإجراء التجربة عليّ في يومياتك و كتبت أنك ستجريها على نفسك ؟
- أجل فعلت ، و سجلت بصوتي أوامري لنفسي بالإنتحار
- أحسنت يا عزيزي أحسنت

ثم ذهبت وتركته وعلى وجهها ابتسامة ظافرة و هي تغمغم لنفسها قائلة :

- هل كنت تظن حقا أنني سأتركك تجعلني أقتل نفسي ،أيها الأحمق كان عليك أن تتعلم إخفاء يومياتك أفضل من ذلك

تمت

رحلة بحرية

الضغوط تتزايد ،يوشك رأسها على الإنفجار ،أرادت الهروب بعيدا لبعض الوقت ،أرادت وقتا لها فقط ،بدون أي مسئوليات ،لذا عندما اقترحت صديقاتها تلك الرحلة البحرية وافقت على الفور دون تفكير ،في عرض البحر رسى ذلك القارب الفاخر الذي إستأجرنها ..

بدا الوضع مثاليا ،جو صحو ،زرقة البحر تمتد في الأفق ،وجبات طعام معدة مسبقا من أفخر المطاعم ،العطلة المثالية كما توقعتها و تمنتها ،لكن الأمور ليست دوما كما تبدو عليه ،حين حلّ المساء وخلد الجميع للنوم بدأت هي تسمع تلك الأصوات ،أصوات خطوات على سطح القارب ،في البداية ظنت أن إحدى صديقاتها جافها النوم ،فصعدت ببطء لئلا توقظ الأخريات

على السطح ،رأت خيالا لشخصين ،رجل وامرأة - و هذا غريب لأنه لم يكن هناك رجال مطلقا على القارب ،كانا يتشاجران ،لم تستطع أن تميز السبب ،لكن الأمور كانت محتدة ،توارت خلف أحد المقاعد ، شعرت برجفة خوف لم تدرِ لها تفسيرا ،إلى أن رأت الرجل يخرج مسدسا و يطلق النار على الواقفة أمامه لتسقط من على سطح القارب في قلب الماء ،ليلتفت بعدها الرجل ،ينظر مباشرة إلى عينيها ،ومن ثم يتلاشى ،وكأنما تبخر ...

تكرر الأمر في الليالي التالية ، في البداية كان الذعر ، و من ثم الاقتناع انها ترى هذا المشهد المكرر لسبب ما لكنها لا تعلمه بعد ...

حين عادوا للمرفأ ،أتى صاحب القارب بنفسه هذه المرة لاستلامه ،الذي ما إن رأته حتى انتفضت ،حدجها بنفس النظرة التي رأته يسددها لعينيها على سطح القارب ،الآن هي تعلم ...

ندم

كانت ترتجف ،بالكاد يستطيع تمييز كلماتها من بين صوت نحيبها :

- اهدأي قليلا ، لا أفهم حرفا مما تقولين
- عدني ،عدني أن تسامحني
- لست أفهم ،علام أسامحك؟!
- على دخولي حياتك ،على تقصيري ،على كل شيء فعلته ،على .. ما سأفعله
- عزيزتي صدقا لا أفهم ما تتحدثين عنه ،إنتظريني سآخذ إذنا للخروج مبكرا من العمل
- أرجوك ،لا تصعب الأمر عليّ أكثر ،لا تحاول إعادتي

انقطع الإتصال ،تاركا القلق يعصف بنفسه ،يعلم أنها لم تكن على ما يرام الفترة السابقة ،تلازم الفراش ،زاهدة في الطعام والشراب ،صامتة ،عيناها دوما تحمل لمعة البكاء ،ظن أن الأمر عابر ،لكن ... مكالمتها تلك ،هناك شيء خاطئ ،لا يدرك ماهيته ،لكنه يدرك وجود خطب ما

لم تدري كم مرَّ عليها من زمن شعرت فيه أنها وحيدة مهما كان عدد المحيطين بها، دوما شعرت أنها عديمة الأهمية ،كغرض قابل للإستبدال ،تذكر أنها لطالما تظاهرت بالقوة ،بالتأقلم ،لطالما رسمت ابتسامة لطيفة على محياها في مواجهة الناس جميعا ،ابتسامة تتلاشى فورا ما إن تنفرد بنفسها أو حتى بمجرد إنحسار الأعين عنها ،لكنها لم تعد تحتمل ،لم تعد تحتمل التظاهر أكثر من هذا ،كل ما كان مُختزنا في أعماق نفسها طفا أخيرا على السطح ،لم تستطع ابقاؤه مدفونا لوقت أطول ،وهذا زاد الأمر سوءً ،لم تكن يوما من معتادي الشكوى ،كانت أذناً للدانِ والقاصي ،آلمها الشعور بأنها مصدر خام للطاقة السلبية ،لذا ، قررت أن ربما الحياة ستكون أفضل كثيرا بدونها ...

عاد للمنزل جزعا ، اندفع يفتش عنها في جميع الغرف ،إلى أن وجدها مُلقاة أرضا ،إلى جوارها علبة أمواس الحلاقة خاصته وقد تبعثرت محتوياتها ،علبة مهدئات فارغة ملقاة في الركن ، الدماء في كل مكان ، رسغيها مشرحان طوليا و عرضيا ، لا يبدو أنها تتنفس ، لا يبدو أن هناك ولو مظهرا واحدا يدل على الحياة ،وضع يده على فمه من هول الصدمة ،لم يتخيل أبداً أنها قد تُقدم على مثل تلك الفعلة ،لم يتخيل أنه يوما سيفقدها ،الآن فقط مرّ بذهنه كل محاولاتها الخفية لطلب المساعدة

- أنا لست على مايرام ، لا أدري ما هي مشكلتي ،أنا شخص سيء ،لست أستحق حبك ،أرغب في الإختفاء

كانت ردود أفعاله تتراوح ما بين السخرية و اللوم :

- أنتِ من تفعلين هذا بنفسك ،أخرجي تلك الأفكار من عقلك ،لا تكوني غبية حمقاء ،أنا أحبك

الآن وقد رحلت ،يفكر أنه يا ليتني أصغيت أكثر ،تفهمت ،وحاولت المساعدة ،لكن قد فات الأوان ...

تمت

انتحار

تمد يداً ترتجف نحو المشرط ،عقلها لا يزال يفعل أفاعيله في إقناعها وإزالة التردد

(هذا هو السبيل للراحة ،لكِ و لهم)

تلتقط المشرط وهي لا تزال ترتعش ،ابتسامة مهزوزة عابرة مرت على جانب ثغرها ،من كان ليظن أنها ستستخدم هذا المشرط مجددا ،هو في علبته منذ سنوات ،منذ كانت تدرس في الكلية ،لم تعتقد أنها ستستخدمه في غير تشريح الحيوانات بدءً بالضفادع و إنتهاءً بالسحالي ،لكن شيئا لا يبقى على ذات الحال ،تجول ببصرها الغائم في الغرفة ،تُلقي نظرة على تلك الورقة ،لا تحمل سوى كلمة واحدة (آسفة) ...

لم تكن يوما تظن أنها يمكن أن تفعلها ،كان ذلك من المستحيلات في نظرها ،لكن يبدو أن لعقلها رأيا آخر ،أقنعها أخيرا أن ذلك ملاذها الأخير ،السبيل لترتاح وتُريح ،لا تعلم تحديدا ما أوصلها إلى تلك الحال ،على كلٍ لم يعد هذا مهما الآن ،لقد أوشك كل شيء على الانتهاء سئمت نوبات الإكتئاب و ما لها من تبعات ،هاهو المشرط يلامس رسغها ،ترتعش ،فليكن قطعا عرضيا فهكذا يكون الألم أقل ،تغمض عيناها وتضغط المشرط أكثر فأكثر ،تشعر بسائل الحياة الدافئ يتسلل خروجا

- لا أستحق ألا أتألم ،فقد آلمت كل من عرفني

بدأت تشق رسغها طوليا ،تعض على شفتها ألما ، تضغط أكثر لتضمن ألما أكبر ،ترغب في معاقبة نفسها ،تشعر بالدوار ،الوعي ينسحب تدريجيا مع الدماء المندفعة من جروحها ،نظرة غائمة أخيرة ،أنفاس ثقيلة ،ثم ... العدم ....

تمت

بولينج

لكلٍ هواية ،البعض يهوى الرسم ،الكتابة ،لعب كرة القدم ،أما أنا فهوايتي البولينج ،أهتم به كثيرا لدرجة أن ليّ كراتي المصنوعة خصيصا ،لا أحد يجرؤ على لمسها ،فهم تمائم حظي كل منهم تذكار لنجاح حققته ،أعلم أن شكلهم غريب ،لكن لا بد لي من التفرد ،ترغبون في نظرة أقرب ؟ فهم لماذا تبدو كراتي على هيئة رؤوس آدمية ؟،لا بأس ،لكن لا تجعلوا ما ستعرفونه يجعلكم تتراجعون عن التنافس معي ،دعوني أهمس بالسر في أذانكم :

"هذه الكرات ما هي إلا رؤوس منافسي السابقين ،الخاسرين ،أولئك الذين لطالما تبجحوا بمهاراتهم الفائقة في اللعبة وقدرتهم على هزيمتي مغمضي الأعين ،أكره المتبجحين ، لذا أحتفظ برؤوسهم ،ألعب بها ككراتي الخاصة ،رأفة بهم حتى ينالوا الفوز على الأقل بعد موتهم طالما لم ينالوه في حياتهم ،هل رأيتم من هو متعاطف مثلي قبلا ؟!"

تمت

أحبها ولكن

ابتسامة عابرة ارتسمت على محياه ،بينما يتصفح الصور المخزنة على ذاكرة هاتفه ،مد سبابته يتحسس الشاشة ،يشعر أنه يلمس خصلات شعرها ،لا يوجد ما يكفي من مفردات في أي من اللغات المعروفة لتصف مقدار حبه لها ،لكن .. فجأة تلاشت تلك الابتسامة عندما ظهرت على الشاشة تلك الصورة التي تجمعها ورجل آخر ،متشابكا الأيدي ،وعيناهما تحمل كل معان العشق ..

وخزة نغزت قلبه ،هو من التقط تلك الصورة لهما ،شيء ما أخبره أنه عليه مراقبتها ،أن قلبها إحتله أحدهم ،وكان عليه أن يتأكد ،كم تمنى أن يكون حدسه مخطئا ،لكن منذ متى وحدس المحب يخطأ فيما يخص محبوبه ،الآن عليه أن يتخذ قراره ،هي في نظر عقله خائنة ،تستحق الموت جزاء خيانتها ،وفي نظر قلبه ربما هذا الآخر قد غرر بها ،عرف نقاط الضعف التي يستطيع منه استمالتها ،ربما عليه قتل ذاك الآخر فحسب ،أن يبقي عليها فلازال حبها يملكه ،وربما لو أبقى عليها لتمكنت أخيرا من فهم هذا ..

في قبو منزله ،قيدها و حبيبها إلى مقعدين متقابلين ،من مراقبته المستمرة لهما عرف أين ومتى سيتلاقيان ،عمل على أن يشغلها ببعض الأعمال الاضافية ليؤخرها قليلا عن الموعد -فهما يعملان سويا في نفس الشركة - و خرج قبلها ليتصيد غريمه ،استطاع مباغتته و تخديره ،ومن ثم سحبه لقبو منزله ،هي كان أمرها سهلا ،توقع أنها ستظل تنتظر الحبيب ،فقد أرسل لها رسالة نصية من هاتفه لها يخبرها أن تنتظره و أن زحمة السير تعطله فحسب..

- هذا هو من تفضلينه عليّ إذا .. ها ؟

حملقت فيه ذاهلة لا تدر ما تقول ،فأكمل قائلا :

- ما الذي يميزه ؟

و التفت ناظرا إليه من أعلى لأسفل ،ثم أشار إلى بنصره الأيسر و قال لها :

- حتى أنه متزوج ، أظننت أنه - لو افترضنا جدلا أنني كنت لأتركك - سيتركها لأجلك؟!

هنا حاولت هي أن تصيح بشيء ما إلا أن الكلمات خرجت على هيئة همهمات ،اقترب منها بتؤدة وتحسس خصلات شعرها برفق و من ثم جذبها بعنف إليه ليصبح وجهاهما أقرب ما يكون لبعضهما البعض و قال بحدة :

- لم لا تستطيعين أن تفهمي أنني حقا أحبك ولن أتنازل عنك لأي كان ؟ ها ؟! سأنزع الآن الكمامة عن فمك ،وكل ما أرغب في سماعه هو اعتذارك ،وأنك ستبادلينني الحب وتقدري ما أفعله لأجلك ،وأعدك سأعفو عن حياتك

والتفت مشيرا بغل إلى ذلك الآخر الذي كان لا يزال فاقدا للوعي :

- أما هو ،فلا .. لابد أن يموت جزاء سرقتك مني

أزاح الكمامة عن فمها لتصيح فيه بهيستيرية و الدموع تنهمر من عينيها

- أيها المجنون المختل ،هو زوجي ،زوجي أتفهم أيها المختل ، تعلم هذا منذ أصبحت زميلتك في الشركة

جذب شعرها بعنف أكبر و هو يصرخ فيها :

- لكنني أحببتك ،أنت لي وحدي ،أتفهمين ؟! وستظلين دائما أبدا لي وحدي

في اللحظة التالية أخرج مسدسه من جيبه ليطلق عدة طلقات نارية أردى بها الزوج الغائب عن الوعي

- أما أنتِ ، لا أرغب بتشويه جمالك سأحتفظ بك

بعض بضعة أسابيع عاد من عمله ،ألقى نظرة على حبيبته الجالسة في الصالة ،كان معها فتاة أخرى

- أتمنى أن تكونا قد أصبحتما صديقتين الآن ،أعلم أنكما ربما تشعران بالملل ،لا بأس هناك فتاة جديدة في عملي الجديد بدأت أشعر بانجذاب نحوها ،ربما قريبا جدا ستنضم لكما ،أتمنى ألا أضطر لتحنيطها هي الأخرى ،هذا المنزل يحتاج للمسة أنثى تنبض بالحياة

تمت

جنازة

كنت أعلم أن تلك اللحظة قادمة لا محالة ،كل المؤشرات تُنبأ بقرب النهاية ،الغيبوبة امتدت لما يزيد عن ثلاثة أشهر ،كان فيها الأمل يعلو ويهبط ،تارة حالته تتحسن وتارة تتدهور الجميع كان في قرارة نفسه يدرك حقيقة الأمر ،لكن أحدا أبى التصديق ،لم يرضوا بالتخلي عن خيط الأمل الشبيه ببيت عنكبوت واهٍ ،أحيانا يتملك القلب زمام الأمور ،يجبر العقل على التنحي أو ربما هو من يتنحى من تلقاء نفسه ،يعجز عن النطق ،عن تخيل أن الفراق أصبح حتميا وكيف له ألا يعجز ؟!

بدأ توافد الأهل والأصدقاء على المستشفى ،المشهد يبدو من بعيد مقبضا يكتسي باللون الأسود

تستطيع رؤية تلك النظرة في العيون ،تلك النظرة الذاهلة الغير مصدقة ،وكأنما كان الخبر مفاجئا ،وكأنما أحدا لم يكن ينتظره في أية لحظة ،في الواقع أظن أن مهما كنت تتوقع أمرا ما فإن لحظة وقوعه تظل مفاجئة ،الموت خصوصا له رهبة و قدسية خاصة مهما ظننت أنك مستعد ،سيظل وقع حدوثه صادما ،دوما ما تكون لحظة اليقين مفجعة ،لا كلمات أخيرة لنتبادلها لا ضمة صدر تُشعرك بالاستغناء عن الدنيا وما فيها لا فرصة للإعتذار وطلب العفو ،لا فرصة للغفران ،لن تقول أحبك و ترى أثرها في عين من تحب...

بدأ الغُسل ،أحيانا ولوهلة يُنسى أن الميت قد مات يُتوهم كونه نائما... تسمع أحدهم يقول ترفقوا حتى لا تؤلموه وآخر يجذب المناشف على الجسد ساترا إياه ،تسمع نشيج بكاء مكتوم همهمات تلاوة آيات الذكر الحكيم ،وصوت الدعاء ،رائحة المسك والكافور هي المسيطرة على المكان يُكفن بالبياض وقبل تغطية الوجه يُنادى من هم بالخارج أن هلموا للوداع تُرى من يودع من ؟ ،من سيكون صاحب النصيب الأكبر من الشقاء ؟ ،الأحياء الذين سيعانون ألم الفراق ؟ أم من مات؟ ،أتراه سينجو و لا يمسي من الأشقياء ؟.....

صلاة الجنازة...

لم أدرك عدد أو حجم المصلين ،كان حريا بي الانتباه ،يُقال أن كلما زاد عددهم كان ذلك بشارة بالصلاح ،بدأ التحرك توجها لمدافن الأسرة ،ها نحن ذا ننزل القبر ،رباه أذلك هو الختام ،لا عودة ،تستطيع سماعهم يلهجون بالدعاء ،لكن مهما أطالوا فلابد من الانتهاء ساد السكون لوهلة ساد الظلام ومن ثم تعالى وقع الخطوات مبتعدة...

- لا .. لا تتركوني ،لا زلت هنا ،أستطيع الشعور بكم .

خفتت أصوات الخطوات حتى تلاشت ....

- لا تنسوني من الدعاء..

ما أعلمه يقينا الآن ،أن لا جنازة حضرتها كانت مثل تلك ،فلا يتاح للمرء حضور جنازته إلا مرة في الحياة ،ترى ،هل سيجري لساني بالإجابات ؟ ،هل سيضم القبر ضلوعي حتى الإلتصاق ؟ ،هل قدمت لحياتي ؟ ،أم أنني سأقول ليتني بعد الفوات...

تمت

ماذا لو!

مصاص دماء بلا أنياب...

مؤسف أن تختلف عن أقرانك ،أنا من أسرة عريقة يمتد نسبها إلى دراكيولا مصاص الدماء الأشهر ،بشرتي ليست شاحبة كبقية عائلتي ،تأخرت أنيابي في الظهور ،نسبة لمن هم في سني يعايرني الجميع بقولهم أني بشري

سئمت أن لا أستطيع اصطياد فرائسي بنفسي ،كيف لي أن أفعل و ليس لدي أنياب ،تخيل أن تكون مصاص دماء شاب بلا أنياب ،ولازلت تتلقى حصتك من الدماء من أبيك ،وإن احتجت المزيد فشقيقتك تمنحك ما تحتاج ،بعد أن تمعن في إذلالك و تذكيرك بعجزك ،لذا قررت الإنتحار ،انتظرت شروق الشمس لأخرج فيها و أتحول لرماد ،لكن حتى هذا فشلت فيه

لم تؤثر أشعة الشمس بي كما تفعل ببقية سلالتي ،علي أن أجد طريقة أخرى ،في طريق عودتي ،كان حلقي جافا ،عبرت بمحل عصير لأتناول بعض القصب ،نعم القصب ما المشكلة أتظنون أنكم البشر فقط من تعشقونه ،بعد أن غادرت ،شعرت بأحدهم يتتبعني يتربص بي انحرفت داخل أحد الأزقة لأتأكد ،أسمع نبضات قلبه تتسارع ،أشتم رائحة دمائه تتدفق في عروقه ،هذه أشياء لم تتخل عني كأنيابي ،خطواته تسارعت ليلحق بي ،هدأت من سرعتي لأمنحه تلك الفرصة ،شعرت بنصل حاد يكاد ينغرس في جانبي ...

- قب باللي ف جيبك كدا من سكات لأغزك

لاحت على شفتي ابتسامة عابثة سألهو قليلا ،التفت إليه في سرعة وفي لمح البصر كانت مديته انتقلت إلى يدي ووضعتها على وريده العنقي الذي كان ينبض أمامي مما أثار عطشي

لم ينل فرصة للصراخ ،شققت وريده بالنصل شقا عرضيا صغير بالكاد يكفي لأغرس فيه الماصة التي كنت أحتفظ بها بعد أن شربت القصب ،تناول الدماء طازجة منعش حقا ومختلف عن تناولها بعد فترة ،تماما كالقصب ،يفقد لذته إن لم تشربه مباشرة بمجرد عصره ،صحيح أنني مصاص دماء بلا أنياب ،لكني اكتشفت اليوم طريقة جيدة لصيد فرائسي بمدية وماصة عصير قصب....

قلم

لست أدري ،لست أدري حقا كيف أكمل ما بدأته ،يدي مغلولة ،أجبرت على التوقف عن الكتابة إما أفكار ممسوخة ترضيهم وإما فلن يقبل أحد مقالاتي ،عزمت على اللجوء للخداع ،من الآن لا يلجأ إليه ؟! ،كتبت مقالا منمقا متملقا ،كاذبا منافقا ،مقال علمت يقينا أنه سينال تأشيرة بالموافقة ،بطريقة ما استطعت نقل تلك التأشيرة إلى مقالي المغضوب عليه ،لكن لا بد من كشف الحقائق ،لا بد للجميع أن يعلم ما خلف الأقنعة ،وأنا من سيسقطها سأكشف الزيف والغش وستنصلح الأحوال....

انتظرت بفارغ الصبر خروج الطبعة الأولى من الصحيفة ،هاهي ذا قادمة على السير خروجا من المطبعة ،قبل أن تلمسها يدي وجدتني وقد عصب أحدهم عيناي ،واقتادني إلى سيارة ما من بعيد سمعت أوامر صارمة بإعدام كل الطبعة الأولى ،وأن يُطبع أخرى تحمل مكان مقالي إعلانا لمجمع سكني جديد للصفوة الذي يمتلك الجميع القدرة على السكنى فيه -حسب الإعلان -وانحدرت رغما عني دمعة حارة ،فها هو قلمي ذا يعدمونه دون محاكمة ،ولكن لا بأس ،فأنا سألحق به عاجلا ،لا شيء سوى صوت الزمهرير في صحراء جرداء ،ومشط مسدس يسحب استعدادا للإطلاق ،صوت طلقة نارية مكتوم ،لا أدري هل سمعتها حقا ،أم أنني تخيلتها قبل أن تظلم الدنيا تماما....

يوما... ربما يستطيع أحدهم أن يكتب دون أن يرى في مخيلته شبح الإعدام لأفكاره وقلمه ربما يوما...

تمت

رائحة الحنين

لكل منا مكان أو بضعة أماكن ،ما إن نخطو بها حتى نشعر بعبق الذكريات تمر أمامك كشريط سينمائي ،وقد تكون محظوظا في بعض الأحيان لتجد أن المكان لم يمسه تغيير ،وكأنما ظل في حقبة مضت من الزمن ،الشوارع ،المباني ،جدران منزل قديم عشت فيه أحلى ذكريات نشأتك تسير لتسمع صوت حليم يأتيك من المذياع الموجود في محل عصير القصب على الناصية " ومكنتش أعرف قبل النهاردة إن العيون دي تعرف تخون بالشكل دا "...

رائحة مخبوزات الفرن الطازجة تخترق أنفك ،تبعث فيك نوعا من الدفء في ليلة شتوية باردة تجاوزت فيها الساعة الحادية عشر مساءً ،تبتاع بعض أرغفة الفينو ،وتعبر الطريق للبقالة على الجهة المقابلة ،بقالة قديمة بقت على حالها من حيث ترتيب البضاعة ،لكنها تشعرك بحميمية لا تجدها في الأسواق الكبيرة التي انتشرت في كل زاوية وركن تعبر به ،الراديو صوته هادئ ،لا مرتفع ولا منخفض ،أغنية قديمة أخرى ،وكأنما المكان يأبى أن يخرب صورة ذكرياتك ،يأبى ألا يمنحك لمحة من ذكرى مضت في ذكرى جديدة تتولد ،تخرج لتشير إلى إحدى سيارات الأجرة ،تخبره بوجهتك ،عائدا أنت إلى حاضرك مرة أخرى ،لكن حتى هذه ،تمنحك بقية الذكرى ،تنهيها بنفس النمط حين يأتيك صوت حليم مجددا هذه المرة من مذياع السيارة ... " جباااااااار... جبااار... "

تمت

أنين القبور

هل حدث يوما أن تكررت زيارتك لمكان ما ،وصرت تحفظ تفاصيله عن ظهر قلب في أحلامك ؟ ،على الرغم من أنك لم تزره أو تراه قط في صحوك ،هذا الأمر أصبح اعتياديا بالنسبة ليّ ،تكررت زياراتي في الأحلام ،لتلك البقعة الفسيحة التي تختفي وسط فناء ما محاط بأشجار عالية كأنها غابة ،بدت مألوفة ليّ للغاية ،في منتصفها يقع قبران يعلوهما ضريحان حجريان نُحِتا على هيئة فراشين متقابلين ،في الحلم كنت أذهب في أوقات متفرقة من اليوم ،لكن على الأغلب قبل المغيب ،في كل مرة أذهب فيها كنت أسمع أنينا وبكاء وليد ، لم أميز قط مصدرهما ،لكن يقينا ما تولد في نفسي أن الصوت قادم من القبر ،تلك الليلة رأيت أبي راكعا على ركبتيه أمام الضريحين ،يبكي بحرقة ،لتتجسد أمامه فتاة شابة ترتدي ثوبا أبيض فضفاض ،بدا ليّ أنها من تسكن ذاك القبر ،تلك النظرة في عينيها ،نظرة حملت مزيجا من الحزن والقهر والغضب ،كانت تحدق في أبي ومن ثم التفتت إليّ بغتة قائلة :

- أنتظرك لتنضمي إليّ قريبا

لأستيقظ بعدها فزعة من نومي ...

لم أدري كيف نمت بعدها ،لكنني استيقظت باكرة متحمسة في اليوم التالي ،فأبي كان قد وعدني باصطحابي معه للقرية حيث مسقط رأسه ،تلك ستكون المرة الأولى التي يسمح ليّ فيها بالذهاب معه ،لطالما تحجج بطول الطريق من القاهرة لأقصى الصعيد ، لطالما ألححت ولطالما أصر على الرفض ،لذا ورغم دهشتي حين وافق بسلاسة هذه المرة كدت أقفز فرحا طال وداع أمي لنا قبل أن ننطلق في طريقنا ،بررت لنفسي قلقها بأن هذه المرة الأولى التي أسافر بعيدا عنها طيلة واحد وعشرون عاما هو سنى كاملا ،فبعد كل شيء أنا وحيدتها ،نبض قلبها كما تُطلق عليّ ...

"أنتفض الآن خوفا ،وحيدة ،أتحدث لمسجل الصوت في هاتفي علّ ذلك يخفف من توتري ،غابت الشمس و بالكاد أستطيع تبين الطريق ،مهلا ! إنها تلك الغابة من حلمي ! ،من كان ليتخيل أنها

خلف قصر أسرة والدي ؟! ،تُرى هل ... ؟ حسنا عليَّ أن أتوغل قليلا لأتأكد يالسماء ! القبران هنا فعلا !! ، كذلك أبي !

فلأخفض صوتي لئلا يسمعني ،وسأتبعه حين عودته دون أن يشعر كيلا يغضب مني لمخالفتي أوامره بعدم مغادرة القصر ،إنه يبكي راكعا على ركبتيه ،تماما كما كان في حلم البارحة !

- دفنت طفلتي ذات البضع ساعات من عمرها أمامي ، حرمتني إياها ، لست أهتم حقا لدفنك إياي حية ، لكن طفلتي ! ، اليوم أنا سأحرمك طفلتك "

اتسعت عيناي لما سمعته توا ،لما رأيته ! ،وكأن حلمي انتقل بتفاصيله إلى أرض الواقع ! ،لا أستطيع أن أصدق أن أبي قاتل ! ،لا بد وأنني أهذي ،لا يوجد ما يسمى بالأشباح !

- بل صدقي يا صغيرة ،صدقي وودعي أباكِ ،شقيقي الذي اتهمني في عرضي ولم ينتظر تبين الحقيقة !

كيف و متى أصبحت بمواجهتي ؟ حقا لا أدري ،لكن ما أعرفه هو أن والدي كان يحاول الوصول إليّ إلا أن شيئا ما خفيا كان يشل حركته تماما ،حاول أن يهتف بها قائلا :

- أتركيها ،رجاءً ،هي لا ذنب لها ،أنا هو المعني ،صدقيني ستندمين لو قتلتها
- كان حريا بك أن تدرك أن الأمر عاجلا أو آجلا سيرتد عليك

صرخ قائلا :

- هي ابنتك ،ابنتي توفيت يوم ولِدت ،هي من دفنت في القبر المقابل لقبرك ، لم تعد بعدها زوجتي قادرة على الإنجاب وتكفلت بابنتك

لكن قوله جاء متأخرا ،متأخرا جدا ،بانتهاء جملته شعرت وكأنني أحلق ،استطعت رؤية جسدي ممددا أرضا ،عنقي ملتف حول نفسه بمئة و ثمانين درجة ،تحرر أبي من قيده الخفي ،ازداد بكاؤه ونحيبه ،خرجت الكلمات من بين دموعه متقطعة كأنياط قلبه :

- أخبرتني في الحلم أنك قد عفوتِ ،أخبرتني أنك فقط تريدين رؤيتها ،ليتك استمعتِ لي
- كما استمعت أنت لي ؟!
- كنت فتيا ،غبيا ،أسير مندفعا وراء انفعالاتي ، لقد جاءني أحدهم يخبرني أنك تستغلين سفر زوجك و على علاقة بغيره ،صدقت صورا مفتعلة
- ظلمتني ،قتلتني بغير حق
- وأنتِ الآن قتلت طفلتك ،الابنة الوحيدة التي عرفتها يوما
- سأتركك الآن وأنا أعلم أنك ستئن ألم ظلمك ما حييت ،كما ستظل تلك القبور هاهنا تئن ألم الخسارة و القهر

تمت

الفهرس

1- شاشة زرقاء 4
2- الخيط الرفيع 8
3- التحدي 12
4- اختيار الشيف 16
5- انفصال 18
6- الليلة الأخيرة في الملجأ 21
7- وجه على الجدار 23
8- مرة واحده أخيرة 26
9- عربة القطار الأخيرة 28
10- انعكاس 31
11- زجاج مكسور 33
12- اللعبة 34
13- القصة الأخيرة 42
14- من فعلها ؟ 48
15- محاولة فاشلة 54
16- غريب 56
17- تجربة 57
18- رحلة بحرية 59
19- ندم 60
20- انتحار 62
21- بولينج 63
22- أحبها ولكن 64
23- جنازة 67

24- ماذا لو ؟ 69
25- قلم 70
26- رائحة الحنين 71
27- أنين القبور 72
28- الفهرس 75